

د. أحمد خالد توفيق

عقل بلا حسد

عقل بلا جسد



د. أحمد خالد توفيق

هما صديقان .. أحدهما امتلك
العضلات والقوة الجسدية، بينما لم
يمتلك الآخر إلا العقل .. العقل
العبقري القادر على أن يحل أعقد
المشاكل في دقائق .. (عصام فتحي) أستاذ
الرياضيات حبيب الكرسي المتحرك،
ومجموعة من الألغاز الرقمية المحيرة
التي يحلها دوماً، مبرهنناً على أنه جدير
بلقب (رجل الأرقام) .. بعض هذه الألغاز
يتعلق بجرائم مخيفة، وبعضها يتعلق
بمحاولتنا لفهم الآخرين، لكنه في كل
مرة يبصر الحقيقة المتوارية وراء
الضباب، ويثبت أنه عبقري .. حتى لو
كان عقلاً بلا جسد ..



عقل بلا جسد

«ذكاء الأرقام .. صفة أقدرها بشدة وأدرك أنني لم أحظ قط بقسط مناسب منها .. في المدرسة كانت رؤية أية أرقام تكفي لجعل عقلي يتوقف عن العمل مؤقتًا، تلك الحالة التي تذكرك بتوقف القلب .. وبرغم هذا لم اعتبر نفسي غيبًا قط .. أعتقد أن عقلي كان دومًا أكثر تعلقًا بالحروف والكلمات .. هذه لغته وذلك غذاؤه الذي يقتات به...»

هذا هو المقطع الأول من القصة الأولى من سلسلة عقل بلا جسد، وهو يلخص كل شيء تقريبًا .. لا يوجد فيه شيء من الخيال ..

لم أعرف (عصام فتحي) بالضبط، لكنني عرفت من هو قريب منه جدًا، ومن جديد لا دور للخيال في هذا المقطع: «(عصام فتحي) كان يختلف عني في كل شيء ..

كانت له تلك الموهبة الرقمية غير العادية، فلم يكن ينسى أي رقم، وكان قادرًا على إجراء أية عملية رياضية بسهولة تامة .. حسدته لفترة وحاولت منافسته .. استغرق الأمر عدة سنوات حتى بدأت أرى أن موهبته شيء كأنوفنا وشعورنا وطول قامتنا

.. نحن نولد بها وعلينا أن نقبل حقيقة امتلاكها أو افتقارنا إليها.. دعك من أنني كنت أتفوق عليه في نقاط أخرى.. لم يكن يتذوق الشعر أو يفهمه .. لم يستوقفه قط جمال فتاة .. لم يلعب لعبة رياضية في حياته .. الفن الوحيد الذي كان يفهمه نوعًا هو الموسيقى والسبب هو تلك العلاقة الرياضية التي وصفها (فيثاغورس) يومًا ما ..

وكما كان يقول لي: (الموسيقى معادلات مسموعة)...

كانت القدرات العقلية المبهرة للعقل البشري تثير شغفي دومًا، وعندما قرأت عن العالم البريطاني (ستيفن هوكنج Stephen Hawking) في الثمانينات، انبهرت بشدة بفكرة العقل العبقري الذي لا يستطيع التعامل مع العالم الخارجي إلا من فوق مقعد متحرك .. تقريبًا لا يحرك إلا أنامله وعينييه .. حتى الكلام يخرج من جهاز خاص، وبرغم هذا هو أستاذ رياضيات وهو قادر على تغيير نظريات أينشتاين عن منشأ الكون ..

ليس هوكنج قدوتي، وإلا لكان علي أن أحلم بالشلل .. لكنه نموذج مبهز يدير الرؤوس بحق، وأعتقد أن (عصام فتحي) جاء لا شعوريًا من عباءة (هوكنج) ..

من جديد تبهرني فكرة الناصح Mentor الذي يملك الإجابة عن جميع الأسئلة، ويقصده البطل عندما يجد نفسه في ورطة .. في (رحلة البطل Monomyth) التي تحدث عنها العالم الأمريكي (كامبل)، هناك ناصح دائمًا .. إنه مدير المخابرات

في قصص جيمس بوند، وهو (جانيدولف) في سيد الخواتم، وهو (الحلق العميق) في أفلام المخابرات الأمريكية ..

من الصعب أن تجد الناصح من حولك .. هكذا تضطر لصناعة واحد على الورق .. ومن جديد نجد أن عصام فتحي مزيج من البطل وناصح البطل ..

أما البطل - الذي ليس بطلًا في الواقع - فشخصية ذات ذكاء عادي .. طيب القلب .. مخلص .. إنه هاستنجز صديق بوارو أو واتسون صديق هولمز .. مهمته أن يقع في المأزق ثم يطلب العون، ثم يصغي منبهراً .. وقد رأيت أن يكون ضابطًا بالطبع، ليس لأنني اعتبر الضباط أقل ذكاء من أساتذة الرياضيات، لكن لأنه بهذا الشكل أقدر على أن يجلب المتاعب معه وأن يواجهها في كل لحظة، كما أنه يملك القوة الجسدية التي تساعد أحيانًا في حسم الأمور ..

هكذا ولدت هذه القصص، وهي مزيج من القصة المسلية والمعلومة الرياضية، التي تقدم لنا درسًا في كيفية استخدام تفكيرنا بدقة وفعالية، فإن لم تجن منها الفائدتين معًا جنيت واحدة منهما ..

هكذا ولدت هذه القصص، وهي مزيج من القصة المسلية والمعلومة الرياضية، التي تقدم لنا درسًا في كيفية استخدام تفكيرنا بدقة وفعالية، فإن لم تجن منها الفائدتين معًا جنيت واحدة منهما ..

بشي أن أقول إن هذه القصص كانت تنشر سلسلة كل شهر في مجلة (شباب 20) الصادرة عن دار الصدى في دبي، وقد وافقت الدار على أن أقدم ما نشر منها في كتاب، لذا أوجه لها الشكر الحار ..

هذا هو كل شيء، واترك للقارئ الكريم أن يحكم على هذه التجربة بنفسه، فلا قيمة لرأي الكاتب لأنه - في النهاية - يعتقد أن ما كتبه كان الأفضل وقتها، لذا أتمنى حظًا سعيدًا للقارئ ولي..

د. احمد خالد توفيق

هكذا ولدت هذه القصص، وهي مزيج من القصة المسلية والمعلومة الرياضية، التي تقدم لنا درسًا في كيفية استخدام تفكيرنا بدقة وفعالية، فإن لم تجن منها الفائدتين معًا جنيت واحدة منهما ..

هكذا ولدت هذه القصص، وهي مزيج من القصة المسلية والمعلومة الرياضية، التي تقدم لنا درسًا في كيفية استخدام تفكيرنا بدقة وفعالية، فإن لم تجن منها الفائدتين معًا جنيت واحدة منهما ..

هكذا ولدت هذه القصص، وهي مزيج من القصة المسلية والمعلومة الرياضية، التي تقدم لنا درسًا في كيفية استخدام تفكيرنا بدقة وفعالية، فإن لم تجن منها الفائدتين معًا جنيت واحدة منهما ..

هكذا ولدت هذه القصص، وهي مزيج من القصة المسلية والمعلومة الرياضية، التي تقدم لنا درسًا في كيفية استخدام تفكيرنا بدقة وفعالية، فإن لم تجن منها الفائدتين معًا جنيت واحدة منهما ..

هكذا ولدت هذه القصص، وهي مزيج من القصة المسلية والمعلومة الرياضية، التي تقدم لنا درسًا في كيفية استخدام تفكيرنا بدقة وفعالية، فإن لم تجن منها الفائدتين معًا جنيت واحدة منهما ..

هكذا ولدت هذه القصص، وهي مزيج من القصة المسلية والمعلومة الرياضية، التي تقدم لنا درسًا في كيفية استخدام تفكيرنا بدقة وفعالية، فإن لم تجن منها الفائدتين معًا جنيت واحدة منهما ..

هكذا ولدت هذه القصص، وهي مزيج من القصة المسلية والمعلومة الرياضية، التي تقدم لنا درسًا في كيفية استخدام تفكيرنا بدقة وفعالية، فإن لم تجن منها الفائدتين معًا جنيت واحدة منهما ..

هكذا ولدت هذه القصص، وهي مزيج من القصة المسلية والمعلومة الرياضية، التي تقدم لنا درسًا في كيفية استخدام تفكيرنا بدقة وفعالية، فإن لم تجن منها الفائدتين معًا جنيت واحدة منهما ..

هكذا ولدت هذه القصص، وهي مزيج من القصة المسلية والمعلومة الرياضية، التي تقدم لنا درسًا في كيفية استخدام تفكيرنا بدقة وفعالية، فإن لم تجن منها الفائدتين معًا جنيت واحدة منهما ..

هكذا ولدت هذه القصص، وهي مزيج من القصة المسلية والمعلومة الرياضية، التي تقدم لنا درسًا في كيفية استخدام تفكيرنا بدقة وفعالية، فإن لم تجن منها الفائدتين معًا جنيت واحدة منهما ..

هكذا ولدت هذه القصص، وهي مزيج من القصة المسلية والمعلومة الرياضية، التي تقدم لنا درسًا في كيفية استخدام تفكيرنا بدقة وفعالية، فإن لم تجن منها الفائدتين معًا جنيت واحدة منهما ..

لغز أخير

ذكاء الأرقام .. صفة أقدرها بشدة وأدرك أنني لم أحظ قط بقسط مناسب منها ..

في المدرسة كانت رؤية أية أرقام تكفي لجعل عقلي يتوقف عن العمل مؤقتًا، تلك الحالة التي تذكرك بتوقف القلب .. وبرغم هذا لم اعتبر نفسي غيبًا قط .. أعتقد أن عقلي كان دومًا أكثر تعلقًا بالحروف والكلمات .. هذه لغته وذلك غذاؤه الذي يقتات به ..

(عصام فتحي) كان يختلف عني في كل شيء .. كانت له تلك الموهبة الرقمية غير العادية، فلم يكن ينسى أي رقم، وكان قادرًا على إجراء أية عملية رياضية بسهولة تامة ..

حسدته لفترة وحاولت منافسته .. استغرق الأمر عدة سنوات حتى بدأت أرى أن موهبته شيء كأنوفنا وشعورنا وطول قامتنا ..

نحن نولد بها وعلينا أن نقبل حقيقة امتلاكها أو افتقارنا إليها .. دعك من أنني كنت أتفوق عليه في نقاط أخرى .. لم يكن يتذوق الشعر أو يفهمه .. لم يستوقفه قط جمال فتاة .. لم يلعب لعبة رياضية في حياته .. الفن الوحيد الذي كان يفهمه نوعًا هو الموسيقى والسبب هو تلك العلاقة الرياضية التي وصفها (فيثاغورس) يومًا ما .. وكما كان يقول لي: (الموسيقا معادلات مسموعة) ..

كان مسارنا محددًا من البداية .. هو درس الرياضيات وبلغ فيها شأنًا عظيمًا، وأنا صرت .. صرت ضابط شرطة .. لا أعرف كيف ولا لماذا لكنني كنت مكتمل البنيان قويًا وبدا طريقي مرسومًا أمامي من قبل أن أفكر ..

لكن علاقتنا لم تنقطع قط .. كان يكمل ثغرات عقلي وكنت أكمل ثغرات شخصيته .. في سن الخامسة والعشرين تزوجت (غادة) التي صارت أم أولادي الثلاثة، أما هو فظل يراقب الحياة من بعيد ولا يدخلها أبدًا ..

وفي سن الثلاثين كان ذلك الحادث .. ألم تسمع عنه ؟ .. إن إطار سيارة انفجر في لحظة بعينها على الطريق السريع يحدد تاريخ حياتك للأبد .. هناك انقلاب السيارة والارتطام بشجرة .. لا بد من شجرة دائمًا .. لم يمت لكن ظهره قد تحطم

وتمزق حبله الشوكي .. وهكذا كتب عليه أن يمضي باقي حياته على مقعد متحرك تعنى به والدته، وهي سيدة فاضلة من الطبقة المتوسطة لا تسمح صحتها بالكثير .. لهذا أحضرت له (عفاف) وهي فتاة باسلة من قريباتي قبلت أن تكون مزيغًا من الممرضة والمربية والقارئة والأم ..

بقي أن أقول إنه ما زال يمارس عمله في تدريس الرياضيات وتلاميذه يحبونه حقًا .. يقولون لي إنه عبقري فأهز رأسي .. قولوا لي شيئًا لا أعرفه يا أولاد ..

هكذا اتخذت حياتي وحياته هذا المسار الجديد الذي يتكرر مرتين أسبوعيًا .. هو يجلس على كرسيه المتحرك بجسده الواهن ورأسه الهزيل، بينما عيناه تشعان تلك القوة النفسية الكاسحة الثاقبة التي تميز المقعدين .. وأنا اجلس بجواره أحكي له عن مشاكلتي، أو أخذه في نزهة هنا أو هناك نتحدث عن صبانا الذي أمضيناه معًا فلم نفترق يومًا واحدًا .. وكنت أتساءل في قلبي : ماذا لو اختفى من حياتي ؟ .. ماذا لو لم يكن فيها أصلًا ؟ .. ما كنت لأكون أنا ..

مع الوقت بدأت أراه كما هو فعلاً: عقل عملاق بلا جسد .. يشبه قصص الخيال العلمي التي يحتفظون فيها بمخ عبقري يسبح في مادة حافظة في وعاء زجاجي .. فلو رأيت الأمر من هذا المنظور لخطر لك أن الحادث لم يكن مأساة .. كان طورًا انتقاليًا حتميًا في حياته يقوده إلى الوصول للشكل الذي خلق من أجله: عقل مجرد لا يشغله شيء آخر ..

لم أجسر طبعًا على مصارحته بهذا وإن كنت أتعهد أن تخلو علاقتي به من أي نوع من الرفق أو التخف .. ربما كنت أعامله بشيء من الخشونة وكنت أعرف أن هذا يروق له، لأنه لا يمقت شيئًا في الحياة مثل الشفقة .. كان يرى في الشفقة نوعًا خاصًا جدًا من التعالي والاحتقار فنحن لا نشفق إلا على من هم أضعف منا ..

.....

الحادث الذي حكيته له كان على سبيل تسليته لا أكثر .. فلم أكن مكلفًا بالتحقيق في هذه القضية ..

قلت له: « (عدنان السمدوني) رجل في الخمسين من عمره .. له عدة شركات وعامة هو يمارس ذلك النشاط البشري الغامض الذي يطلق على صاحبه (رجل أعمال) ..

صفقات .. قروض .. عروض أسعار .. الخ .. لكن لا ينكر أحد أنه شديد الذكاء يتمتع
بسرعة بديهة غير عادية .. »

ظل (عصام) ينظر لي وهو يمسك بكوب الشاي الساخن الذي يتصاعد منه الدخان،
فقلت له:

«طبعاً أنت خمنت أنه قُتل ...»

ضحك في مكر وقال:

«بالعكس .. سأبهرك أكثر وأقول إنني لن أثب إلى أية استنتاجات قبل سماع القصة
كاملة ..»

سررت لهذا لأن جلستنا هذه ذكرتني بجو (شيرلوك هولمز) وصديقه محدود الذكاء
(واطسن)، كما ذكرتني بـ (هيركيول بوارو) وصديقه الغبي (هاستنجز) .. طبعاً لم
أكن ألعب دور (هولمز) ولا (بوارو) هنا بل ألعب دور صديقيهما .. وتوقعت أن يبادر
بالاستنتاجات المستفزة كما يفعل (هولمز) في القصص لكنه لم يفعل ..
عدت أقول:

«في ذلك اليوم بقى (عدنان) في الشركة وحده حتى ساعة متأخرة من الليل .. وفي
الصباح فتح العامل الباب ليجد (عدنان) جالساً إلى المكتب كما هي العادة .. المشكلة
أن ثقب رصاصة كان في جبهته .. أنا أحاول أن أقدم لك لحم القضية بعد التخلص
من العظام والجلد ... سأريحك من تفاصيل البحث المملة وأخبرك أن رجال الشرطة
رسموا المشهد كما يلي: هناك من قابل (عدنان) في تلك الليلة وجلس معه حيث لا
أحد في الشركة .. لعل الأمر كان يتعلق بدين متأخر أو صفقة يريد الحصول عليها
.. الله أعلم بذلك .. ثم تطور الأمر لمشاجرة تحت شيئاً فشيئاً .. يشعر (عدنان)
بقلق فيخطط معلومات عن ضيفه على ورقة وهو ما زال جالساً يتبادل النقاش الحاد
معه وينظر في عينيه، وهنا أخرج القاتل مسدساً .. أطلق النار ثم فر من المكان ..
يجب أن أقول إن القاتل بالتأكيد تفحص الورقة التي كانت أمام (عدنان) ليتأكد من
أنه لم يكتب اسمه عليها .. فلما اطمأن تركها ورجل .. هذا كل شيء ..»
«لا بصمات ؟»

«بالتأكيد .. لا بصمات .. لا شهود .. مئات الأعداء .. قلت إنني اختصر عليك
الطريق»

قال (عصام) باسمًا وهو يرشف الشاي:

«أنت لا تعطيني تفاصيل كثيرة .. لماذا ؟»

قلت له وأنا أخرج ورقة من جيبتي:

«لأن مهمتك محددة .. هذه صورة من الورقة التي كانت أمامه عندما قتل .. لدينا كل
ما يدعو للظن بأن (عدنان) كتب فيها معلومات عن القاتل ..»

«ولم لا يكون القاتل قد تركها ليضللکم عمداً ؟»

«الحياة ليست بكل هذا التعقيد .. ثم إن الدماء تناثرت عليها بشكل يوحي بأن
القتيل كان يكتب فيها ساعة القتل .. دعك من أننا لم نفهم ما فيها فكيف يضللنا
شيء لم نفهمه ؟»

أمسك (عصام) بالورقة وتفحصها ..

كانت ورقة عادية من طراز A4 كتب عليها بخط كروكي رديء يوحي بالاستعجال:

(4 3 2 1)
و أ ث أ ة

راح يفكر في عمق .. يمتص الشاي في عمق .. أعرف هذه العلامات المعتادة .. إن
لروس عقله تعمل بأقصى طاقتها الآن .. انسكب بعض الشاي الساخن على سرواله
فلم يلحظ .. لم تعد لديه أعصاب تحس بالألم لأن كل جهازه العصبي صار يعمل
لهدف واحد الآن ..

دخلت (عفاف) الغرفة وسألته عن شيء ما فلم يرد .. أشرت لها من طرف خفي أن
تتركه الآن ..

مرت خمس دقائق وهو يرمق الورقة، فقدرت أنه عجز .. لن ألومه على ذلك ..
نوهت أن هذه الحروف نوع من العبث .. كما تكتب أنت كلمات وترسم صناديق
ولعابين عندما تصغي باهتمام لمكالمة هاتفية ..

هجأة رفع عينه نحوي وقال:

«هل لديك مشتبه فيهم ؟»

«مئات منهم .. كل رجل أعمال له خصوم كثيرون...»

«هلا قرأت لي أسماء بعضهم ؟»

أخرجت ورقة من جيبتي ورحت أقرأ:

«خذ عندك .. (عماد فريد)... (سيد الدلجموني)... (مصطفى القصاص)... (نهلة فوزي) وهي زوجته بالمناسبة .. (أنور حبيب)... (خالد سليم)... (خليل الغرباوي)..... (محمد

رفع يده مشيراً لي كي أتوقف .. ثم سأل في شرود:

«هل من اسم آخر يبدأ بالخاء؟»

نظرت للقائمة ثم هزرت رأسي أن لا .. فقال:

«(خالد سليم) .. لا بد من أن تضيقوا عليه الخناق !.. إنه هو .. !»

صحت في غيظ:

«لحظة .. أنت لا تمارس السحر هنا .. لا تحدثني عن حدسك والحاسة السابعة وكل هذا الهراء...»

هز رأسه ووضع كوب الشاي على المنضدة بجواره وقال:

«لا هذا ولا ذاك .. الفقيده كان شديد الذكاء ثابت الجنان .. كان يريد أن يكتب اسم قاتله لكنه لو فعل ذلك صراحة لانتزع الأخير الورقة وأحرقها .. لذا تظاهر بأنه يخط حروفاً وأرقاماً لا معنى لها على سبيل شرود الذهن .. في البداية وضع أرقام (1 2 3 4) .. معنى كلامه هذا أننا بصدد متواليه عديدة .. بعد هذا كتب :

و - أ - ث - أ. فما معنى هذا؟»

قلت وأنا لم أتخلص من غيظي:

«لنقل إنه مات بسر ..»

«بل هي متواليه عديدة أخرى تعتمد على الحرف الأول من نطق العدد .. واحد ..

اثنان .. ثلاثة .. أربعة ... الحروف الأولى هي: و.. أ .. ث .. أ... ثم ترك لنا علامتي

استفهام تقولان بوضوح: ما الحرفان التاليان؟»

طبعاً الخاء فالسين .. خ .. س... خمسة .. ستة .. (خالد سليم)...

صحت مندهشاً:

«يا سلام ؟... ولماذا لم يكتب خ .. س ببساطة؟»

«إذن لرأى القاتل الحرفين ومزق الرسالة .. بينما الصورة الحالية توحى بالهذيان ..

قلت وأنا أنهض مستفزاً:

«هل تتوقع أن رجلاً يرى مسدساً مصوباً إلى رأسه يمكنه ترك رسالة بهذا التعقيد ؟»

«لا اعتقد أنه الفها وحي الخاطر .. لا بد أنه كان يستخدم هذه الطريقة في أوراقه

من قبل .. ربما هو نوع من الشفرة اعتاد استعمالها وتوقع أن الآخرين سيفهمونها»
«وهو ما لم يحدث...»

قال باسمًا:

«بل حدث الآن ...!»

والذي لم أخبر به (عصام) هو أن كلامه صحيح تمامًا لأننا قبضنا على القاتل بعد دقائق من ارتكاب الجريمة .. (خالد سليم) هو القاتل الذي جاء يطالب (عدنان)

بإعفائه من دين متأخر .. رفض (عدنان) وتشاغل عن ضيفه الغاضب بالشغبطة في ورقة أمامه .. هنا جن جنون (خالد) وأخرج مسدسه ليفرغه في رأس رجل الأعمال

القاسي. لقد اعتقلنا القاتل لكن لسبب آخر .. إن من يطلق رصاصة في منتصف الليل أحرق بالأكيد ، وقد رآه الجيران المذعورون وهو يهبط في الدرج جرياً دون أن

ينتظر المصعد .. وعلى باب البناية استوقفته دورية راكبة سمعت صوت الطلقة.. وبالطبع لم يكن على استعداد لإنكار أي شيء .. فقط ظلت هذه الورقة لغزاً حتى

اللحظة وحتى حل (عصام) سرها في خمس دقائق ..

(عصام) مصيب تمامًا .. وكالعادة يبرهن على أنه يلتقط تفاصيل لا يلاحظها سواه

.. لكنني كذلك معجب بـ (عدنان) الذي رأى الموت قادمًا لا محالة، لكنه صمم على أن يترك لنا هذه الورقة ... هذا اللغز الأخير.

**رجل لا يستحق
شیرین !**

أحياناً

أزور (عصام) مع (غادة) زوجتي لكني أتخشى أن أحضر الأطفال معي .. من المستحيل أن تسيطر على هذه الشياطين الصغيرة أو ترغمها على التزام الأدب، بينما (عصام) يحب الأطفال لكنه يحب النظام أكثر .. ولعه بالنظام يصيبني بالجنون .. لا بد من أن تكون الكتب موازية لحافة المنضدة .. لا بد من أن توضع الأقلام الرصاص في الكوب وسنّها لأعلى، بينما أقلام الحبر الجاف سنّها لأسفل .. الكتابة على ورق أنيق أبيض أما الخواطر فعلى ورق لاصق (ستيكر) يثبت على شاشة جهاز الكمبيوتر توطئة لتفريغه في مفكرة .. طبعاً يستحيل أن تحافظ على شيء من هذا في وجود ثلاثة أطفال ..

(عفاف) الشابة الباسلة التي تعنى به تعلمت هذا .. وقد صارت أكثر وسوسة منه .. لهذا تحرص على ألا يظل أي قذح خارج طبقه متى فرغنا منه، وهي تحمل مكنسة كهربية صغيرة من التي يستعملونها في السيارات كي تزيل أي غبار يسقط على أي شيء ..

هذا الحرص على إرضائه كان سهل التفسير بالنسبة لزوجتي ..

«(عفاف) تهيم به حباً سراً ..»

قلت لها إن هذه الفكرة حمقاء .. لا يمكن أن يتزوج (عصام) دعك من أنه لم يبق منه سوى رأس على مقعد متحرك .. فقالت زوجتي في خبث:

«قل لها هذا ولا تقله لي .. أنتم الرجال لا تعرفون أي شيء عن المرأة العاشقة ..»

«وأنت لا تعرفين شيئاً عن (عصام)»

دخلت زوجتي المطبخ مع (عفاف) وسمعت صوت الثرثرة والضحكات .. أنت تعرف أن (عصام) بمثابة أخي لذا تتصرف زوجتي في بيته كأنها في بيتها .. دعك من أنه على مقعد متحرك ومحدود الحركة .. كنت أعرف أن هذه المحادثة الضاحكة ليس لها من غرض إلا استنزاف أسرار (عفاف) والبرهنة على ذلك الحب الذي تحاول زوجتي أن تؤكده ..

ظل (عصام) يرمقني وهو جالس على مقعده المتحرك .. لقد ازداد هزلاً وفي كل مرة أشعر بأن الصورة المنطبعة في ذهني تزداد يقيناً: هذا عقل بلا جسد من عقول المستقبل ..

ابتسم وقال لي:

«هل أنت سعيد في زواجك؟»

قلت مفكراً:

«لا أعرف .. ليس لدي وقت كاف لأفكر .. زواج ثم ثلاثة أطفال خلال خمسة أعوام .. من المستحيل أن أعرف إلا بعد ما يتزوج أصغرهم ..»

«النقل السؤال بطريقة أخرى: هل يبعث فيك الزواج ذات المشاعر الملتهبة التي كانت تبعثها قصص الحب القديمة؟»

«بالطبع لا .. الزواج هو دفء هادئ منتظم، بينما القصص القديمة كانت نارا .. ونظرت عبر فرجة الباب لأتأكد من أن المدام لا تقف هناك وقد تحولت إلى شيطان بعد سماع ما أقول ..

ثم بدأت أتذكر .. وقفت ووجهي إلى النافذة المفتوحة التي تطل على ملعب كرة في مدرسة إعدادية .. هناك صبية يتصارعون حتى الموت على كرة بينما واحد منهم يلعب دور الحكم ويصفّر بلا انقطاع .. هذا المشهد أزال ركام الأعوام عن ذاكرتي فصرت بينهم .. أحاورهم في اللعب وأطلب من (هاني) أن يمرر الكرة لي .. أرى نفسي في الخامسة عشرة مراهقاً قوي البنية لا يرحم جسده لحظة واحدة .. المدرسة المشتركة و(شيرين) .. الحسناء المخملية الغامضة .. كنت أقتل نفسي في الألعاب الرياضية من أجلها، ثم أعود للبيت منهكاً فأقتل نفسي في الدراسة من أجلها .. فقط لو تنظر نحوي مرة واحدة .. مرة واحدة فقط بعدها أموت ...

«هل تذكر (شيرين)؟»

هز (عصام) رأسه باسمًا .. لم يكن ممن يبالغون بالفتيات قط .. دعك من أنه لم يشاركنا أية مباراة في ذلك الزمن عندما كانت قدماء تعمالن .. لكنه كان يذكر كل شيء لذا غمغم:

«كنت تحبها .. أذكر هذا .. وكانت شديدة الذكاء .. لم أر قط فتاة أذكى منها .. حتى أنا كنت أرتجف خوفاً من ذكائها الشديد»

كنت أفعل أي شيء كي أنال إعجابها لكنها ظلت تلك الملكة المتوجة التي لا يجسر أحد على الدنو منها، حتى جاء اليوم الذي يفقد فيه المرء إرادته وسيطرته على مواطنه .. هكذا كانت جالسة في الفناء في وقت الانصراف على ذلك المقعد الخشبي الذي تساقط عنه الطلاب، وجوارها كتبها وألتهها الحاسبة .. كانت تراجع درس اللوغاريتمات الذي أمقته بجنون .. عندما عرفت أن عالمنا (الخوارزمي) هو الذي

ابتكر هذا العلم حزنيت كثيرًا .. كنت أعتقد أن مبتكر هذا العلم من أعداء العرب !
جلست بقربها فنظرت لي في دهشة ثم همست:
«بالله عليك !... الكل يرانا !...»

قلت لها كل شيء .. حكيت لها عن الساعات التي أقضيها في البيت محاولاً
الدراسة لكن وجهها يقتحم كل كتاب علي فلا أعني شيئاً .. حكيت لها عن الكدمات
التي تملأ جسدي من حرط التدريبات الرياضية .. أنا أفعل كل شيء كي أستحقها ..
قالت دون أن تنظر لي:

«أنت شاب ممتاز لكنك لا تعنى بعقلك العناية التي يلقيها جسدك .. إن احتمال أن
أرى عنقاء تحلق فوق المدرسة أقوى من احتمال أن أراك تمسك كتاباً »
«سأحاول أن أفعل العكس .. صدقيني .. فقط قولها .. قولي إنك ستحاولين أن
تحبينني ...»

قالت في دلال:

«لا يمكن أن أقول شيئاً بينما الجميع يراقبني ...»
ثم تناولت الآلة الحاسبة وراحت تدق على مفاتيحها .. أتذكر الآن أنها كانت تردد
الأرقام وهي تضغط عليها .. أربعة من عشرة مقسومة على مائتين .. أربعة من
عشرة مقسومة على مائتين ..

نهضت محبطاً وانصرفت .. إن هذه الفتاة تسخر مني .. لا يمكن أن تنهمك بكتابة
فروضها بينما شاب يصارحها بحبه .. شاب له طول وعرض وارتفاع وكرامة .. وعدت
لداري محنقاً ورسمت آلاف المشاريع الوهمية بدءاً بقتل نفسي وانتهاء بقتل الجميع
.. عند المساء عدلت عن هذا وقررت أن أكون من قراصنة الكازيبي أو اذهب إلى
جنوب أفريقيا لأعمل في المناجم حتى أموت ..

لكنني كنت واقعاً في قبضة ذلك الحب .. وكانت أغاني عبد الحليم حافظ تجعلني
عبداً لا يرغب في التحرر .. (بتلوموني ليه ؟.. لو شفتهم عنيه .. حلوين قد إيه ؟)
هكذا قدمت اقتراحي لها مرة أخرى بعد أسبوعين، فابتسمت من وراء عويناتها
وقالت:

«حسن .. سأجرب حبك وحسن تصرفك .. اليوم هو السبت .. سأطلب منك أن
تأتيني بزهرة .. زهرة واحدة .. غداً تأتييني بزهرتين ...»
قلت في حماس:

«هذا سهل .. إن حديقة المدرسة مليئة بالأزهار والبستاني لن يلاحظ شيئاً ..»
«بعد غد تأتيني بأربع زهرات ... في اليوم الرابع تأتيني بثمانية زهرات .. وهكذا ..
لو استطعت أن تحافظ على هذا العهد أطول فترة ممكنة فإنني سأمنحك حبي ..»
هنا قاطعني (عصام) فعدت إلى عالم الواقع .. سألتني باستمتاع حقيقي:

«طبعاً لم تف بهذا العهد ...»

قلت في حيرة:

«فوجئت بأنها تركت المدرسة ولم أعد أستطيع الاتصال بها .. عندما رحلت كنت قد
وصلت إلى 32 زهرة .. تعبت في جمعها لكن (شيرين) كانت تستحق ...»
«أي أن هذا كان اليوم السادس ...»

وكلت تنوي الاستمرار في تنفيذ هذا القسم للأبد ؟

«طبعاً .. ليس الأمر عسيراً ..»

تحرك (عصام) بكرسيه المتحرك ليقف جوارى حيث وقفت جوار النافذة وقال:
«كنت تسخر منك يا صاحبي .. إنها تكرر معك قصة الحكيم الهندي الذي طلب من
الملك أن يكافئه على اختراع رقعة الشطرنج .. طلب من الملك أن يضع له حبة قمح
في المربع الأول وحبتي في الثاني وأربع حبات في الثالث .. وهكذا .. حتى يصل إلى
المربع رقم 64 ... بالطبع قبل الملك هذه الصفقة وإن تضايق من ضعف المكافأة التي
طلبها ذلك الحكيم قليل الذوق .. وراح رجاله يعملون في حساب القمح المطلوب
لأنه نسي الملك قوة المتواليات العددية المربعة .. اتضح أن كمية القمح المطلوبة
للتسديد هذا الوعد تفوق كمية القمح الموجودة على كوكب الأرض .. حتى لو تم تجفيف
البحيطات وزرعها .. لأن الكمية هي ...»

وبدأ يعبث بمفاتيح الكمبيوتر ثم قرأ الرقم الناتج:

وهو ناتج ضرب رقم 2 في نفسه 64 مرة .. أي 18446744073709551615

«حبة قمح ! .. لو أنك وافظيت على وعدك حتى اليوم الرابع والستين لوجدت أن عليك
تسليم هذا العدد من الأزهار !»
«وهذا معناه ؟»

«التعجيز طبعاً .. فقط أرادت أن ترى ما إذا كنت ستتيين الشرك أم لا .. وكانت تعرف
أنها مغادرة المدرسة قريباً فلن تتعبك أكثر من أسبوع !»
ثم أضاف وهو يمد يده إلى آلة حاسبة على مكتبه :

«أما الاعتراف الأول بينكما فهي قد عقدت لك امتحاناً رسبت فيه بجدارة .. هذه طريقة معروفة للكتابة تعتمد على تشابه الأرقام العربية مع الحروف اللاتينية على شاشات الحاسبات .. لا تنس أن الأرقام 1، 2، 3 تدعى الأرقام العربية .. أما الأرقام التي تحسبها عربية فهي هندية .. الفتاة كانت تمسك بالآلة الحاسبة وتجري عليها هذه الحسبة البسيطة:

$$0.4/200$$

الناتج هو 0.002

لو أنك قلبت الآلة الحاسبة لقرأت بوضوح كلمة ZOO .. هناك بعض التشوّه في الحروف طبعا، لكنها مقروءة .. جرب هذا بنفسك .. مثلاً كم يساوي حاصل ضرب 3 في 257؟ ... الناتج هو 771 .. اقلب النتيجة تجد كلمة ILL أي (مريض) ... «حتى من دون قلب الشاشة تظل التشابهات كثيرة جداً .. التشابه شديد بين حرف O ورقم صفر .. حرف B يتشابه مع رقم 8 .. حرف S يتشابه مع رقم 5 .. حرف Z يتشابه مع رقم 2 .. هذه مشكلة في برامج OCR التي تحول النص الإنجليزي الذي صورته الماسحات الضوئية .. والغريبون يطلقون على هذا الخلل اسم (خطأ B/8) ...»

قلت له في حيرة:

«ماذا تعني بما كتبت له لي أول مرة؟»

«أرادت أن تبلغك رسالة .. اللقاء في حديقة الحيوان Zoo .. وتركت لك أن تفهم أو لا تفهم .. لو أنك فهمت لصرت جديراً بها ... لا .. لكنك انصرفت غاضباً ..»

صحت في غيظ وقد وقفت في وسط الغرفة:

«هل تعني أنها حددت لي مكاناً للقاء وأنا لم أفهم؟ .. وبعد ثلاثين عاماً فهمت أنت؟» قال في خبث:

«الأمور تبدل على ذلك ..»

صرخت وأنا أوشك على الموت غيظاً:

«أي أن الحب كان يقرع بابي لكنني لم أفهم؟ .. كان يوسعي أن أحظى بحبيبتي (شيرين)؟»

لاحظت أنه متحفظ صموت واندحشت لهذا، ثم حانت منه نظرة حذرة إلى ما وراء ظهري فاستدبرت لأرى سبب الصمت الذي هبط عليه ..

كانت (غادة) زوجتي تقف هناك مع (عفاف) حاملة صينية عليها أكواب عصير .. وكانت في عينيها نظرة شيطانية .. لم أر إنساناً يشبه الكوابيس كما رأيتها في هذه اللحظة ..

وضعت الصينية ثم نظرت لي فلو أن النظرات تقتل لسقطت أرضاً، ثم غادرت الغرفة ومعها (عفاف) ..

قال لي (عصام) بوجه ممتنع، وصوت مبجوح من فعل الرعب:

«بينني وبينك .. أنت لم تكن تستحق (شيرين) ... الرجل الذي لا يعرف كيف يحسب المتواليات العملاقة .. الرجل الذي لا يعرف طريقة كتابة الحروف على الآلة الحاسبة .. الرجل الذي يصرخ باسم حبيبته الأولى بينما زوجته على بعد خطوات في المطبخ ... هذا الرجل لا يستحق (شيرين)»

**الرعب يجتاح
المدينة**

الحر يخفق الأفكار ويخفق الأحلام، ويخفق كل ما هو جميل أو لطيف أو

محبب .. في تلك الساعات الكريهة من ظهر أحد أيام أغسطس ..

في الصيدلية التي تقع عند أول الشارع تجلس (سارة) .. الفتاة المتوسطة في كل شيء .. في الجمال والمال والمؤهل العلمي .. لا يمكن أن تتهمها بالقبح أو الفقر أو الجهل، لكنك كذلك لا تقدر على أن تصفها بالحسنة الثرية المثقفة بقلب مستريح ..

كانت جالسة في الصيدلية وحدها تتابع بنصف وعي مسلسلًا تلفزيونيًا أبله بدا كأن من صنعوه هم الذين صنعوا هذا الحر القاتل .. عندما رأت ذلك الشاب يدخل الصيدلية ..

كان قارع القامة يضع عوينات سودًا، وثمة جرح طويل قديم على خده الأيمن .. ثيابه لا بأس بها وتتم عن ذوق طيب .. وقف في الصيدلية يضع ثوان يتأمل الأرفف وهي علامة تعرفها جيدًا .. إنه يحاول تذكر ما كان يريد .. في النهاية ألقى عليها السلام ثم سألها عن عقار معين لفقدان الشهية وبالتالي الوزن (لن أذكر أسماء هنا) .. تأملت ثيابه شبه الواسعة وتساءلت في سرها عن سبب طلبه لهذا العقار .. لكل زبون قصة .. هل هو يرى في نفسه بدانة لا وجود لها، أم هو يطلب العقار لزوجته بدأت تتحول إلى فيل ؟.. قصة طويلة تكمن وراء هذا الطلب، وقد اعتادت أن تسلي مللها بأن تتخيل تكملة القصة ..

اتجهت إلى الرف فانتقت علبة مليئة بالأقراص دسمة المنظر وقالت له وهي تخط عليها عبارات بقلم قلوماستر:

«خمسة أقراص قبل الأكل بربع ساعة مع كوب ماء كبير .. ثلاث مرات»

أطلق صفيحًا مذهولًا من ضخامة الجرعة فقالت باسمه:

«الفكرة أن هذه الأقراص تنتفش فتجعلك تبدأ الأكل وأنت فاقد الشهية ..»

تفحص العلبة وتساءل في خيرة:

«لا نشرة ؟»

«هكذا يفعلون .. لا تقلق .. هذه الأقراص عبارة عن ألياف نباتية مضغوطة .. لو أن

طفلاً ابتلع العلبة كلها فلن يحدث شيء ..»

أخرج ورقة عملة ذات فئة كبيرة فأخذتها وأعطته الباقي وابتسمت له في تعاسة، ثم

عادت لمشاهدة البرنامج بينما غادر المكان ..

قال لي صديقي العبقري (عصام) وهو يلقي بالمندبل الرابع في سلة المهملات:

«لا جدوى .. من الواضح أن هذا مرض الموت ..»

كان شديد التفاؤل كما أعرف عنه .. وعلى كل حال كان منظره يوحي بهذا وأكثر ..

أنفه أحمر كالسكارى وعيناه ذابلتان واهفتان .. ألعن حالة انفلونزا رأيتها منذ زمن .. والغريب أنها تحدث في أغسطس ..

كان يجلس هناك على كرسيه المتحرك عاجزًا عن الكلام أو التنفس .. وقد صبت (عفاف) الباسلة جالونات من عصير الليمون الساخن في جوفه لكنه كان يزداد سوءًا ..

قلت له وأنا أبعد الفيروسات التي تطير حول وجهي:

«أنت بحاجة إلى مضاد حيوي ..»

قال في غيظ:

«مضاد حيوي مع فيروسات ؟.. يجب أن تجدد معلوماتك الطبية ..»

ثم أشار إلى كومة من الأوراق في غيظ وقال:

«علي أن أجد التركيز والبال الرائق لأقرأ هذه الرسائل العلمية .. لكن في رأسي

مصنوعًا لا يكف عن الهدير والدق ..»

قلت وأنا أتجه للباب:

«ساحضر لك مسكنًا قويًا .. إن الصيدلية قريبة ..»

أشعر بسعادة عندما يتيح لي أن أقدم له شيئًا .. فهو عظيم الكبرياء حريص على

أن يبدو قويًا مستغنيًا ..

هكذا نزلت إلى الشارع الذي يوشك على الاشتعال، واتجهت إلى الصيدلية القريبة ..

لكنني إذ دخلت وجدت أنها أقرب إلى مسرح عبثي .. دموع .. صراخ .. فوضى ..

هناك رجلان قلقان وفتاة باكية .. الفتاة كما فهمت اسمها (سارة) .. كانت تردد أنها

شهر مسئولة عما حدث، بينما أحد الرجلين يتهمها بالغباء ..

«قلت لك إنني سأحتفظ بأقراص علاج السكر في هذه العلبة .. وقلت لي إنك

فهمت !»

هنا تدخلت لأسأل عما هنالك فقال لي أحد الرجلين في ضيق:

«لا شيء .. باعت أقراص علاج السكر على أنها دواء لفقدان الشهية ..»

«وهل هذا خطير؟»

«ليس خطيرًا إلى هذا الحد .. دواء السكر يُعطى منه قرص أو قرصان في اليوم..
بينما دواء فقدان الشهية جرعته خمسة أقراص قبل الأكل ثلاث مرات!»

«وهل هذا خطير؟»

نظر لي في غيظ وقال:

«هذا البائس سيبتلع خمسة أقراص جرعة واحدة قبل الأكل .. سوف يلفظ أنفاسه
الأخيرة قبل أن يفهم أنه يموت!»

سألت في غياء:

«لم لا تخبرونه بذلك؟»

«هذا (زيون طياري) لا نعرفه ولم نره من قبل. وعلى الأرجح لن نراه ثانية أبدًا ...»

هذا هو موقف (الدواء فيه سم قاتل) الشهير .. الفيلم الذي قدمه العبقري (كمال
الشيخ) واستطاع أن يقترب في الإثارة والتشويق من منزلة (هتشكوك) ..

سمعت باقي التفاصيل وأوصاف الرجل ثم قلت لهما وأنا أغادر الصيدلية:

«أنا ضابط شرطة وسوف أتصرف ...»

لكن كيف أتصرف؟ .. في فيلم (كمال الشيخ) اتصل الصيدلي بحكمدار العاصمة
وسرعان ما كانت الإذاعة تطلق النبأ الشهير .. كان هذا في زمن سهل يقول الناس

فيه لبعضهم (سعيدة مبارك) وكان حكمدار العاصمة هو (يوسف بك وهبي) .. لم
تعد الأمور بهذه البساطة .. سوف أحتاج إلى نصف يوم كي أقتنع أحدًا بإذاعة خير

كهذا، ثم أن أحدًا لم يعد يشاهد القنوات الأرضية أو يسمع المذياع .. الكل يتابع
القضائيات ..

هرعت إلى بيت (عصام) وحكيت له القضية فبدأ مهتمًا برغم حالته التعبة ..

«هل تعني أن هذا الرجل البائس يحمل علبة كاملة من دواء السكر على أنها أقراص
تخسيس؟»

ثم هز رأسه في عدم تصديق:

«ما أغيبى الناس! .. يحتفظون بدواء في علبة دواء آخر دون بيانات .. في فترة من
الفترات كانت الأمهات يضعن صودا الفسيل في كوب ماء ثم يملأن الدنيا صراخًا

عندما يشربها أطفالهن لأن منظرها يبدو كاللبن .. النتيجة أن الطفل البائس يموت
فورًا أو يفقد المريء ويستبدلونه بجزء من القولون!»

ثم نظر لي مفكرًا وقال:

«هات الهاتف ...»

تناول السماعة وطلب رقمًا ثم قال:

«مرحبًا يا (محمود) .. هناك رجل ابتاع أقراص تخسيس في علبة .. ماذا؟ .. وما

شأنك بهذا؟ .. دعني أكمل ... المشكلة أن العلبة تحوي دواء قاتلاً .. شاب يلبس ثيابًا

انيقة نوعًا وعلى خده جرح ويضع عوينات سودًا .. الصيدلية تدعى (ابن سينا) وتقع
في أريد أن تبلغ هذه الرسالة حرفيًا لخمسة من معارفك .. من ير هذا الشاب

عليه أن يحذره حالًا ويتصل برقم (وذكر رقم هاتفه) .. هذه أمانة سوف يسألك الله
عنها ...»

ثم طلب رقمًا آخر وكرر الرسالة:

«مرحبًا يا (شريف) .. هناك رجل ابتاع أقراص تخسيس في علبة .. المشكلة أن العلبة
تحوي دواء قاتلاً .. شاب يلبس ثيابًا ... الخ .. الخ»

فعل هذا ثلاث مرات أخرى .. ثم نظر لي باسمًا ..

قلت له في شك:

«ألا ترى أنها طريقة غير فعالة؟»

«هل هي أكثر كفاءة من الإذاعة ذاتها .. لقد ذكرتهم بأنها أمانة أمام الله حتى أقلق
شعيرهم الديني .. هكذا لن يجسر أحد على مخالفة أوامري لأننا شعب متدين

بملبغته .. فلننتظر ولتر .. كم الساعة الآن؟»

«الواحدة والرربع ظهرًا ...»

هكذا ظللنا ننتظر ..

عطست مرتين وبدأ أنفي يسيل .. واضح أنني أصبت بتلك العدوى منه .. وبدأت

أدرك أن هذا مرض الموت لا شك فيه .. طلبت من عفاف أن تحضر لي بعض

الليسون الساخن بينما راح (عصام) يحاول أن يركز في تلك الأوراق العلمية ..

في الساعة الثالثة إلا الربع دق جرس الهاتف فوثب (عصام) يمسك بالسماعة .. بدأ

بصفغي ثم بدأ الجبور يزحف إلى ملامحه:

«مهندس (داود)؟ .. مرحبًا بك .. أنا أدعى (عصام فتحي) .. شكرًا لك .. تقول إنه

مبارك وإنك حذرته؟ .. لم يتناول قرصًا؟ .. أشكرك جزيل الشكر .. في أي وقت ...»

ثم وضع السماعة ونظر لي في انتصار وقال:

«نجحنا يا صبي!»

قلت له في ذهول:

«خلال ساعتين إلا الربع 5.. هل لك أن تفسر لي؟»

قال وهو يمسك بورقة وقلم:

«الناس لا تضيق قوة المتواليات .. تعال نر ما يحدث عندما ننقل الخبر إلى خمسة

أشخاص، بفرض أن عملية الاتصال تستغرق ربع ساعة:

في الساعة الواحدة عرف الخبر شخص واحد ..

في الساعة الواحدة والربع عرف الخبر خمسة أشخاص وأنا .. إذن هم ستة

أشخاص ..

في الساعة الواحدة والنصف عرف الخبر $6 + (5 \times 5)$.. إذن هم 31 شخصاً..

في الساعة الثانية إلا الربع عرف الخبر $31 + (5 \times 25)$.. إذن هم 156 شخصاً..

في الساعة الثانية عرف الخبر $156 + (25 \times 125)$.. إذن هم 781 شخصاً..

في الساعة الثانية والربع عرف الخبر $781 + (25 \times 625)$.. إذن هم 3906

شخص..

في الساعة الثانية والنصف عرف الخبر $3906 + (25 \times 3125)$.. إذن هم 19531

شخصاً..

في الساعة الثالثة إلا الربع عرف الخبر $19531 + (25 \times 15625)$.. إذن هم

97656 شخصاً..

إذن نحن قد عرفنا معلومات نحو مائة ألف شخص في أقل من ساعتين ..

قلت له في ذهشة:

«لاحظ أن تعداد القاهرة يبلغ الملايين ..»

«لكن حظنا الحسن جعل واحداً من هؤلاء يعرف الرجل .. لا تستهن برقم مئة ألف

أبداً.. وعلى كل حال لو استمرت هذه المتوالية لوجدت أن كل واحد في القاهرة كان

سيعرف الموضوع خلال أربع وعشرين ساعة ..»

ثم أضاف وهو يلقي بمنديل آخر في القمامة:

«الآن يمكن أن تذهب للصيدلية كي تشتري لي هذا الدواء وتتخذ ما تراه من إجراءات ..

ربما توجه لهم تهمة الإهمال أو شيء من هذا القبيل ..»

قلت له وأنا اجلس لاهثاً:

«أعتقد أن علي أولاً أن أطلب من (عفاف) أن تذهب للصيدلية .. لقد صار هنا

مريضان .. أنا سعيد لأن مجيئي هنا أنقذ حياة بريء .. لكن لا استبعد أن بريئاً

آخر سيلقى حتفه اليوم ..»

ونظرت له في إعجاب .. لن يكف عن إثارة انبهارى حتى وقد أوشك المرض على أن

يملير صوابه .. أعتقد أن خلايا عقل هذا الرجل هي آخر شيء سيموت فيه .. إنه

بحق يستحق اللقب الذي أطلقته عليه في سري: رجل الأرقام.

رحلة منحوسة

لم يكن صديقي العبقري (عصام فتحي) ممن يهتمون بالرياضة البدنية على الإطلاق حتى قبل أن يصاب في ذلك الحادث الذي أقعده، وكانت أسئلته تتم عن سداجة لا شك فيها وهو يتابع مباراة عابرة على شاشة التلفزيون.. مثلاً لم استطع قط أن أشرح له معنى (التسلل) أو (الأوف سايد)، وقد شعرت للحظة بأنه غبي فعلاً ثم ابتلعت هذا الاتهام .. آخر من يمكن أن نتهمه بالغباء هو (عصام).. فقط كان يتابع المباراة فتخطر له أشياء غريبة لا تمت للموضوع بصلة .. ذات مرة قال لي وهو يتابع إحدى المباريات عندما قال المعلق إن هناك نحو مائة ألف متفرج في المدرجات:

«هل تتصور أن هناك حوالي 270 شخصاً بين المشاهدين لهم ذات يوم عيد ميلادك؟»

نظرت له غير مصدق، فقال مصححاً:

«نحن نتعامل بالمتوسطات .. قد يكون العدد أكبر أو أقل .. لكن لو تكلمنا عن عشر مباريات لكانت النتيجة أكثر دقة ..» قلت له :

«وهل ينطبق هذا عليك أنت أيضاً؟.. أنت ولدت في التاسع والعشرين من فبراير .. وكنا نتندر على هذه النقطة أيام المدرسة ..» قال باسمًا:

«أنا الاستثناء الوحيد للقاعدة .. هناك 68 مشاهدًا فقط يشاركونني عيد ميلادي .. ثم عاد يتناول عشاءه بينما رحت أتابع المباراة في حماس لا يضايقني سوى صوت القضم والبلع .. دخلت (عفاف) جالبة الشاي وراحت تتهامس معه في أشياء لم اسمعها، والحقيقة أنني بدأت أشعر بأن زوجتي عبقرية حقًا .. (عفاف) تحب (عصام) وهذا واضح من تلك الإيماءات الخافتة التي لا تقدمها إلا أنثى ولا يفهمها إلا رجل، لكن ما مصير هذا الحب؟.. إنها لطيفة بأسلة نشيطة ولها وجه محبب للنفس، ولو لم يكن قد مال إليها فهو أحق أو ربما الأحق الوحيد هو أنا ..

لا أعرف السبب الذي يجعل الناس يقررون أن يضعوا أنفسهم وأطفالهم وحقاتهم في سيارة تتجه عبر الصحراء إلى مكان ما، لكن هذا ما حدث فعلاً.. لقد وجدنا أننا نضع أطفالنا في سيارتي قاصدين (مرسى مطروح).. إنها رحلة ليست هينة على الإطلاق عندما تقوم بها من القاهرة لكننا فعلنا ذلك.. يجب أن أذكر أننا كنا في مايو قبل موسم الاصطياف بفترة لا بأس بها طمعاً في أن نجد المدينة الحسناء خالية .. كنت أنا وزوجتي وثلاثة الأطفال .. لا أعرف كيف استطعنا أن نحشر (عصام) و(عفاف) معنا لكننا نجحنا في ذلك .. هو في المقعد الأمامي الأيمن وعلى ساقه الغافية وضعنا طفلاً.. زوجتي وعفاف في المقعد الخلفي وعلى حجر كل منهما طفل يعوي ويبلل ثوبيهما..

يبدو ترتيباً سخيفاً، خاصة أنه يعني تغييرات أكثر .. مثلاً سوف أقيم مع (عصام) وماسلي الأكبر في غرفة واحدة، بينما تقيم زوجتي مع الطفلين الآخرين وعفاف في غرفة أخرى .. لكن زوجتي كانت تعرف علاقتي بـ (عصام) وأنتي عاجز بالفعل عن الاستمتاع بأية إجازة من دون أن يكون معي .. دعك من أنني أدرك قبل غيري أن المسكين يختنق في عزلته .. لهذا تنازلت عن حقها وقبلت .. دعك من أنها كانت تحب (عفاف) فعلاً..

مضت الرحلة على خير و(عصام) يحكي للأطفال حكايات مسلية لا تنتهي، بينما أنا عقلي عن التفكير .. صار الحاضر والمستقبل طريقاً لا ينتهي .. فقط احتفظت بشد من الانعكاسات العصبية يسمح لي بالأقل أقتل حمولة اللحم البشري المحشورة في السيارة..

كنا الآن نشق طريقنا عبر الساحل الشمالي .. نمر بتلك القرى السياحية التي لا يقيم فيها سكانها إلا ثلاثة أيام كل عام وفيما عدا هذا تصير مدن أشباح .. فجأة شعرت بأن السيارة ليست على ما يرام .. إنها تنتفض وتحاول جاهدة أن تبقى حية لكن أجّلها قد جاء ..

في النهاية استطعت أن أميل بها إلى جانب الطريق .. وكان هذا في الوقت المناسب لأنها قررت أن هذا آخر ما تستطيع عمله ...

اطمأنت سبة ونهضت أفتح الغطاء وأنفحص المحرك .. بالطبع لم أستطع فهم أي

شيء على الإطلاق .. هي حركة غريزية لكن لا معنى لها ..

«هل من أخبار سيئة؟»

قالت لها زوجتي في قلق وهي تطل من المقعد الخلفي، فقلت لها في غيظ:
«لا شيء سوى الأخبار السيئة ..»

ثم نظرت إلى الأفق .. لا شيء .. والأدهى أن المرور في هذا الطريق نادر في هذا الوقت .. قلت لهم إن السبيل الوحيد هو أن أمشي بحثاً عن شخص يساعدنا .. ربما جهاز هاتف أو أي شيء .. سيكون عليهم أن يبقوا بالسيارة .. لا أريد مفامرات لا داعي لها ..

هنا انفجر طفلان باكيين يطلبان دخول الحمام، وأي حمام يطلبان ؟.. أخذت كلاً منهما من يده إلى أحد الكتيبان الرملية ودرنا خلفه وسمحت لهما بأن يلبيا نداء الطبيعة، ثم أعدتهما للسيارة وحييت (عصام) وانطلقت في تلك الرحلة الشاقة التي لا يعلم إلا الله متى تنتهي ..

كان هذا وقت العصر وأدركت كم سيكون المشهد بهيجاً عندما يأتي الظلام .. الظلام والصحراء .. أتمنى أن أبكي وأرتجف، التصق بواحد من الكبار لكن الحقيقة القاسية هي أنك الكبار !... أنت من يجب أن يمنح القوة والأمن للآخرين !..
أمشي .. أمشي ...

لا أعرف كم مضى من وقت .. مشيت نحو ساعة تقريباً .. لكن معالم الطريق كانت متشابهة بحيث لم أعد قادراً على تمييز شيء ...
فجأة لمحت وسط الرمال على جانب الطريق شيئاً ما .. إنه جسم مريب الشكل في جوال دفن نصفه في الرمل .. هكذا قررت أن اقترب لأرى .. ولكن .. حذار .. نحن قريبون من العلمين بلا شك وأعرف أن اجتياز الرمال على جانبي الطريق خطر داهم هنا .. ما زالت الغمام الأخ (روميل) والأخ (مونتجمري) تؤدي عملاً لا بأس به بعد ستين عاماً ..

لمحت آثار أقدام على الرمال فتوكلت على الله وقررت أن اقترب أكثر .. سوف أغرس قدمي في مواضع الأقدام السابقة ..

انحنيت وتفحصت الجوال وعلى الفور وثبت مترين للخلف .. إن الكف التي رأيته تطل منه ليست كف كلب بالتأكيد .. الآن أفهم محتوى هذا الجوال ... هناك من دفنه في الرمال لكن يبدو أن الضواري قد حاولت أن تكشفه .. على كل حال لا شك في أن هذا العمل البشع لم يتم منذ فترة طويلة وإلا لأزالت الريح آثار الأقدام .. حاولت أن أعرف بالضبط أين أنا .. يجب أن أحدد هذا المكان بدقة لأعود له فيما

بعد ... هناك سحابة فوقه فهل هذا كاف على طريقة (جحا) ؟.. لا توجد شجرة مميزة .. لا يوجد شيء ... هكذا بحثت عن غصن شجرة وغرسته على جانب الطريق .. بقي أن أحدد كم توغلت في الداخل حتى بلغت .. عشرين خطوة .. عشرين خطوة من جانب الطريق ..

هكذا تركت هذا المشهد الرهيب وواصلت السير .. كان حظي حسناً هذه المرة لأنني لم أمش أكثر من عشر دقائق حتى وجدت ورشة ميكانيكا عند مدخل واحدة من تلك القرى، وسرعان ما كنت أركب وراء الميكانيكي دراجته البخارية عائدين إلى حيث كانت أسرتي ...

تناقضى الرجل مبلغاً فلكياً، لكنني لم أدفع مالا في حياتي بهذا القدر من الرضا .. لقد كلمني عن (الكتاوت) ودائرة (الديفرانس) فلم أع حرفاً مما يقول .. كل ما أعرفه هو أن السيارة دارت ..

وحينما انطلقنا من جديد كانت المرأتين والأطفال قد ناموا .. هكذا صار يوسعي أن الكلام همساً مع (عصام) .. قلت له إنني وجدت جثة مدفونة في الرمال .. إنها على بعد ساعة من المشي ..

قال في حماس إننا يجب أن نجدها ونبلغ الشرطة .. دم هذا القتل لن يذهب هباء وقد أوشك على ذلك ..

هكذا رحلت أشق الطريق بسيارتي .. لا أدري كم من الوقت مر، لكنني في النهاية أدركت يقيناً أنني أضعت الطريق .. لن أستطيع أبداً العودة إلى الموضع الذي كانت فيه الجثة ..

قال في خيبة أمل:

«لا تعرف الكيلو الذي وجدتها فيه ؟»

«لم أحمل مقياس المسافات للأسف ..»

فكر حيناً ثم قال لي:

«كم قطعنا منذ كانت السيارة معطلة ؟»

«حوالي ثلاثة كيلومترات ..»

قال في حزم:

«ترجل ..»

«ولكن ..»

ونفذت الأمر .. فرأيتته يمسك بساعته ويأمرني بأن أمشي بخطوتي العادية .. ثم قال في انتصار:

«الأمر سهل .. تعال واركب ..»

انطلقت بالسيارة وسألته عن نظريته فقال باسمًا:

«أنت وجدت الجوال على بعد أربعة كيلومترات من موضع السيارة، لأنك تقطع في

الساعة أربعة كيلومترات وقد وجدته بعد ساعة ..»

«يا سلام 99 .. من أدراك بسرعتي في المشي ؟»

«هناك قاعدة قديمة هي أن عدد خطواتك في ثلاث ثوان هو ذاته عدد الكيلومترات

التي تقطعها في ساعة .. لهذا أجريت هذه التجربة الصغيرة معك فوجدت أنك

تمشي أربع خطوات في ثلاث ثوان .. إذن أنت تمشي أربعة كيلومترات في الساعة !»

«لم أسمع هذه القاعدة من قبل ..»

«لكنها صحيحة .. ويسهل التأكد منها .. نحن نقرب من الكيلومتر الرابع .. عليك

أن تبطل السرعة وتبحث عن العصا ..»

مرت الدقائق وفجأة هتف في انتصار:

«هذا هو غصن الشجرة ..»

أوقفت السيارة وترجلت منها .. هنا رأيتته يخرج رأسه من نافذة السيارة ويقول لي في خبت:

«الجوال على بعد ستة عشر مترًا ونصف ..»

نظرت له في غيظ وقلت:

«هو على بعد عشرين خطوة .. لا تقل إنك تعرف اتساع خطوتي .. قد تكون ضيقة أو واسعة جدًا»

«بل اتساع خطوتك هو 0.83 متر .. ثمة قاعدة قديمة أخرى تقول إن اتساع خطوتك

هو منتصف المسافة بين عيتيك وقدميك !.. طولك كما أعرفه 175 سم .. نظرح

عشرة سنتيمترات لقمة رأسك .. إذن نحن نتكلم عن 165 سم .. نصفها 0.83

متر بالتقريب .. إذن عشرون خطوة $0.83 \times$ تساوي ستة عشر مترًا ونصف !»

أغاضني هذا الجزء الأخير، فقد شعرت أنه استعراض عضلات لا أكثر ..

لكنني على كل حال مشيت في حذر تلك العشرين خطوة، ووجدت الجوال حيث هو

.. طبعًا ليس من الوارد أن نحمله أو نأخذه معنا .. كل ما أستطيع عمله هو أن أبلغ

رجال الشرطة بمكانه ... عشر دقائق من المشي قبل بلوغ ذلك الميكانيكي .. إذن 666 مترًا لو أخذنا كلام (عصام) على محمل الجد ..

دري من هو ؟ من قتله ؟ .. أسئلة لا أعرف إجابتها لكنني أعتقد أن رجال الشرطة

قادرون على معرفتها .. (هابيلاس كوريوس) قاعدة قديمة مهمة في القانون الروماني

وسمائها (أظهر الجثة) ... متى ظهرت الجثة صار كل شيء ممكنًا وصارت هناك بداية

خيط .. سوف يعرفون صاحب الجثة ويعرفون من اختفى بهذه الصفات من المناطق

المجاورة .. ويعرفون أعداء هذا المختفي ولسوف تضيق الدائرة ...

«العادة يبرهن (عصام) على أنه رجل الأرقام وعلى أن هذا المستقر فوق كتفيه هو

كمبيوتر آدمي .. كمبيوتر يملك الخيال وروح المبادأة ...

عدت إلى السيارة وحاولت إدارة المحرك فلم يستجب .. كان من الخطأ أن أوقفه ..

لماذا نخلت ذات معنى مع (عصام) ...

«ماذا تنوي عمله ؟»

قلت وأنا افتح باب السيارة:

«وماذا تتوقع ؟»

.. «سامشي في الظلام 666 مترًا أو عشر دقائق بخطوة يبلغ اتساعها 0.83 متر

إلى أن أجده هذا الميكانيكي النصاب وأعود به ..»

حاشا لا أعرف السبب الذي يجعل الناس يقررون أن يضعوا أنفسهم وأطفالهم

وحاشائهم في سيارة تتجه عبر الصحراء إلى مكان ما، ويطلقون على هذا النشاط

المرعب اسم (استمتاع) .. لو كنت تعرف إجابة مقنعة فلتخبرني بها من فضلك !..

سميرة والأقزام السبعة

لا توجد طريقة لصنع نقود في هذا العالم ..

هذه الحقيقة كانت (سميرة) تعرفها يقيناً لكنها لم تشعر بها إلى هذا الحد إلا الآن .. إنها توشك على الاختناق فعلاً من فرط الحاجة العاصرة للمال، لكنها ليست من

القادرين على صنع المال عندما يريدون ذلك ..

قال الجراح إن حالة عيني أمها تتفاقم وإن الليزر هو الحل الوحيد .. قال مجلس المدينة إن البناية ستتهار خلال أيام ويجب أن تجد شقة أخرى .. قال أخوها (عمر) إنه لا يفقه شيئاً في الاستاتيكا وأنه بحاجة لدرس خصوصي .. إذن هي ليست بحاجة إلى القليل من المال .. إنها تريد كمية وافرة لا تنضب .. لم تطلب أية علاوة من مدير الشركة لأنها تعرف أن الموضوع غير مطروح .. لو كان كريم النفس ملائكياً - وهو كذلك - لمنحها ثلاثمائة أو أربعمائة جنيه .. قطرة في بحر ..

طرق الحصول على مال سريع - وهي الوراثة والزواج والهجرة والسرقة - لا تناسبها جميعاً .. ليس لها قريب في البرازيل صار ملك البن ويوصي لها بكل ثروته، وهي لا تملك مؤهلات تتيح لها الزواج من مليونير، ولا تستطيع أن تجد عقد عمل لأن شهاداتها غير براءة .. وماذا عن السرقة ؟

عندما اتجهت لزيارة (عصام فتحي) صديقي عبقري الأرقام، كنت أشعر بخجل لأنني لم أره منذ أسبوعين، وهائذا أزوره من أجل مصلحة .. هناك مشكلة في عملي أتوقع أنه يملك جواباً عنها ..

أدخلتني (عفاف) إلى غرفته فوجدته جالساً أمام رقعة الشطرنج، وهو غارق في التفكير .. الغريب أنه قد أضاف ملاحظتين صغيرتين لتكونا ضمن قطع الشطرنج .. حيناً نفعل ذلك عندما نفقد قطعة من أحجار اللعب .. عندي في البيت أستعمل قذاحة بدلاً من الحصان الأبيض لأن العيال قد تخلصوا من هذا الأخير من الشرقة .. لكنني لاحظت أن أحجار رفقته كاملة .. أي إنه يلعب بـ 34 قطعة ..

قالت لي (عفاف):

«هو كذلك منذ الصباح .. يبدو أن هناك معضلة تخيره ..»

عندما تنبه لوجودي أشرق وجهه الشاحب وقال:

«الجميل .. !.. فعلاً هذه اللعبة تحتاج إلى قطعة إضافية هي الجممل ..»

ابتلعت ملحوظتي عن عدم رؤيته نور الشمس مما أوزته هذا اللون الشاحب الجدير بمصاصي الدماء أو طحالب الكهوف، وقلت:

«هل جئت أنت بعد كل هذه السنين لتكتشف أن لعبة الشطرنج خطأ ؟»

قال في هدوء:

«لم أقل إنها خطأ لكن قلت إنها ناقصة .. ثانياً لست أول من لاحظ ذلك .. العبقري

(الخليل بن أحمد) مكتشف أوزان الشعر هو أول من فكر في هذا .. اليوم أجرب

فكرته فأجدها موفقة جداً ..»

ثم أراح الرقعة جانباً وقال:

«معنا من هذا وقل لي القضية التي تحيرك .. لا تقل إنك جئت للتودد لي لأنني

أعرف تعبير الحرج على وجهك واحمرار أذنيك .. هاتان علامتان تدلان على أنك في

حيرة...»

فكرت حيناً ثم بدأت أحكي قصتي بلا اعتذار لأننا تجاوزنا هذه المرحلة ..

«أت ل (عصام):

«الشركة التي أتحدث عنها شركة كمبيوتر .. المدير يدعى (محمود أبو رية) وهو رجل

عصامي ناجح لكنه شارد الذهن سريع النسيان .. هناك خزانة في مكتبه بها مبلغ

لا بأس به .. بما أن الدار أمان كما يقولون وهو يعرف من يعملون معه، فهو لا يعنى

بإغلاق مكتبه جيداً .. لكنه بالتأكيد يعلق الخزانة بأرقام سرية، تتغير يومياً ولا

يعرفها سواه ..»

قال (عصام):

«فلنختصر .. لقد سرقت الخزانة طبعاً ومن دون أثر للعنف»

«بالتأكيد .. هناك اثنان فقط يمكن أن يتسللا للمكتب .. الأول مهندس كمبيوتر

شاب يدعى (فخري) وهو ذراع (محمود) اليمنى .. إن سيرته حسنة ولا تحوم حوله

شبهات لكنه مقبل على الزواج .. الثاني سكرتيرة تدعى (سميرة) .. مؤهل متوسط

وفشيرة .. لا غبار عليها، لكنها في ضائقة مالية طاحنة .. وفي ذلك اليوم بقي

(محمود) و(سميرة) و(فخري) إلى ساعة متأخرة .. ثم جاءت مكالمة عاجلة لـ (محمود)

فاضطرب إلى مغادرة المكتب وترك الاثنين .. هو يتقن بهما ثم إنه يعرف أن الخزانة

مغلقة بأرقام سرية .. بعد هذا غادر (فخري) الشركة لابتاع شطائر وعندما عاد

كانت (سميرة) تتأهب للرحيل .. رحلت أولاً ولم يرها .. ثم رحل هو بعد ساعة .. أعني أنه كان يوسعها أن تغادر الشركة وهي تحمل كيساً صغيراً ونفس الشيء ينطبق عليه .. طبعاً يزعم كل منهما أن الآخر كان مرتبكاً وعلى غير طبيعته ..

«في اليوم التالي يفتح (محمود) الخزانة ليكتشف اختفاء ستين ألفاً من الجنيهاً لم يوردها إلى المصرف .. لا توجد علامات عنف أو اقتحام .. أي أن اللص لم يأت من خارج الشركة .. بالنسبة لنا جثثاً واستجوبتنا الشابين .. وجدنا بصمات أصابعهما خارج وداخل الخزانة لكن (محمود) يرى أن هذا طبيعي لأنه يطلب منهما تنسيق محتويات الخزانة كثيراً في وجوده .. طبعاً لم تظهر على واحد منهما علامات ثراء مفاجئ .. لكن أصابع الاتهام تشير بشكل شبه كامل إلى (سميرة) .. إنها الأحوج» قال (عصام) في شيء من السخرية:

«والأفقر .. والأضعف .. لكن ماذا عن صديقك صاحب الشركة شارد النهن ؟.. ألا يكتب الرقم السري لفتح الخزانة على قصاصة ورق ينساها في أي مكان ؟..» «تأكدنا من هذا .. إنه مصر على أنه لا يدون الرقم أبداً» فكر قليلاً ثم قال:

«هل معك صور ؟.. من المفيد لي أن أتأمل المكان والوجوه .. إن الانطباعات الأولى لا تساوي شيئاً عندكم معشر رجال الشرطة، لكنها مهمة جداً بالنسبة لي ..» مددت يدي في جيبتي وأخرجت حافظتي وناولته ثلاث صور :

«الصورة الأولى التقطت للمدير منذ شهر .. من تقف جواره هي (سميرة) .. الصورة الثانية له مع (فخري) .. الصورة الثالثة للمكتب بعد السطو وقد التقطها رجالنا ..» راح يتأمل الصور في استمتاع وهو يبدي ملاحظاته التي لم أر لها لزوماً:

«فتاة خجول وأعتقد أنها زببت جيداً .. مدير طيب القلب لا يتعالى على مرؤوسيه .. هذه التماثيل جميلة جداً لكنها فكرة غريبة ..»

كانت هناك إلى يمين الجالس على المكتب مكتبة صغيرة عليها صف من التماثيل الخزفية الصغيرة التي تمثل أقزام (ديزني) السبعة .. لكن عددها لم يكن كاملاً .. انتهى من فحص الصور، ثم نظر لي باسمًا وقال:

«قلت إن (سميرة) هذه حاصلة على مؤهل متوسط ...»

«خدمة عامة .. نعم ..»

«إذن ليس بوسعها معرفة الـ .. أنا أتهم الفتى .. قلت ما اسمه ؟.. (فخري) .. أنا

اتهمه وسوف يلين مع الضغط عليه ..»

نظرت له في حيرة .. هل بدأ في التخمين ؟.. هل يبرئ الفتاة بمجرد أنها الأضعف والأفقر ؟.. الفقراء أيضاً يرتكبون الجرائم فليسوا جميعاً ملائكة مظلومين، ثم إن (فخري) هذا ليس (بيل جيتس) لو كنت تفهم قصدي ..

قال (عصام) وهو يلتقط الصور التي وضعها على النضد:

«هل عرفتكم الأرقام السرية للخزانة في ذلك اليوم ؟.. ليست الصور كاملة لكنها تبدأ 183 .. نظرت له في ذهول ثم أخرجت هاتفني المحمول وأجريت مكالمة سريعة بصوت هامس، ثم عدت له وأنا أحمل ألف سؤال ..» قال (عصام) في هدوء:

«التمائيل التي تمثل الأقزام السبعة هي طريقة بسيطة جداً استعملها (محمود) لذكر الرقم السري للخزانة، ولم يخبركم بها .. لو لاحظت لوجدت أن هناك تماثيل ناقصة .. تماثل .. تماثل .. تماثل .. لا تماثل .. الخ .. لو أننا استبدلنا الرقم واحد بالتمثال الموجود والرقم صفر بالموضع الخالي لوجدنا الشكل التالي:

1 0 1 1 0 1 1 1

وهو رقم ثنائي ممتاز يمكن قراءته لمن يملك خبرة بسيطة بالحاسب الآلي، وهي خبرة لا أعتقد أن الفتاة تملكها .. (محمود) كان يملكها وكان في كل يوم يغير أوضاع التماثيل لترمز للرقم الجديد الخاص بالخزانة ثم يغادر المكتب .. تماثيل بريئة لا

بالأحظها أحد سوى مساعده (فخري) الذي أدرك أن وضع التماثيل يتبدل من يوم ليوم .. هكذا كون نظريته الصحيحة، وتمكن من فتح الخزانة ..»

قلت في صبر:

«أنا لا أعرف أي شيء عن هذه الأرقام الثنائية ...»

قال وهو يخط على ورقة ليوضح لي الأمر:

«الحاسبات الآلية لا تملك عشرة أصابع مثلنا بل إصبعاً واحداً .. إما أن تكون هناك شحنة أو لا شحنة .. نعم أم لا .. نرسم للوضع الأول برقم (1) والوضع الثاني برقم

(0) .. كل رقم يدعى Bit والثمانية أرقام تدعى Byte .. تخبرنا قوانين الاحتمالات أن الأوضاع المحتملة هي 256 وضعاً تبدأ بالصفر وتنتهي بـ 255 .. لكن الترقيم

الثلاثي معروف من القرن السابع عشر عندما وصفه العلامة (لينتز)، وتم استخدامه

في الحاسبات الآلية عام 1937 على يد العلامة (شانون) .. يمكن أن تقرأ الرقم

الثنائي بأن تبدأ من اليمين وكلما قابلت الرقم 1 فهذا يعني (2) مرفوعة لأس الخانة التي أنت فيها بعد طرح واحد .. مثلاً لقراءة الرقم الثنائي 1001 نبدأ من اليمين .. نعرف أنه مجموع 2 أس صفر (وهذه معناها الرقم 1) .. زائد صفر .. زائد صفر .. زائد 2 أس 3 (أي 8) .. إذن المجموع 1 + 8 هو 9 ..

1 0 0 1

^ ^ ^ ^

$$1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad \text{---} > 1 \times 2^0 = 1 \times 1 = 1$$

$$1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad \text{---} > 0 \times 2^1 = 0 \times 2 = 0$$

$$1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad \text{---} > 0 \times 2^2 = 0 \times 4 = 0$$

$$1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad \text{---} > 1 \times 2^3 = 1 \times 8 = 8$$

9

الآن تعال نر وضع التماثيل الستة الذي تركه صاحبنا ... ثلاثة تماثيل متجاورة من اليمين ثم لا شيء .. ثم تماثلان .. ثم لا شيء .. ثم تماثل .. أي أن الرقم الثنائي هو :

1 0 1 1 0 1 1 1

^ ^ ^ ^ ^ ^ ^ ^

$$1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad \text{---} > 1 \times 2^0 = 1 \times 1 = 1$$

$$1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad \text{---} > 1 \times 2^1 = 1 \times 2 = 2$$

$$1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad \text{---} > 1 \times 2^2 = 1 \times 4 = 4$$

$$1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad \text{---} > 0 \times 2^3 = 0 \times 8 = 0$$

$$1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad \text{---} > 1 \times 2^4 = 1 \times 16 = 16$$

$$1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad \text{---} > 1 \times 2^5 = 1 \times 32 = 32$$

$$1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad \text{---} > 0 \times 2^6 = 0 \times 64 = 0$$

$$1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad 1 \quad \text{---} > 1 \times 2^7 = 1 \times 128 = 128$$

يقولون ساخرين عن النظام الثنائي: الناس عشرة أنواع .. نوع يفهم الترقيم الثنائي ونوع لا يفهمه !.. وعلى كل حال برهن هذا النظام عن أهميته في الحاسبات الآلية وفي الشفرات .. لا احد يخطر له أن شريطاً مزخرفاً عليه العلامات 11111111 إنما يعني 255 ..

«القصة واضحة .. (محمود) لم يكن يتق في ذاكرته، لذا اعتمد على هذه الطريقة العبقريّة ليحتفظ بأرقام فتح الخزانة، ولم يخطر بباله أن هناك عبقرياً آخر سوف يستنتج أن وضع التماثيل يتبدل كل يوم .. القصة كلها معقدة، أشك في أن تخطر ببال هذه الفتاة البريئة الساذجة مهما كانت ظروفها ..»

لقد انتهت القضية !... كنت أقف مذهولاً بينما أعاد رقعة الشطرنج ليضعها أمامه وقال وهو يحك رأسه:

«لكني ما زلت مصراً على أن هذه اللعبة تحتاج إلى جمل ما 1 .. ألا ترى هذا معي؟»

هرقل يعود

لا توجد حدود للقدرات البشرية ..

هذا هو ما قلته لنفسى في تلك الليلة ..

في البداية أمنت أنه لا حدود للقدرات البشرية من ناحية الثراء والنفوذ، ثم اقتنعت بأنه لا حدود من ناحية القوى العضلية ..

كنت في ذلك الحفل الذي أقامه أحد معارفي من الأثرياء رجال الأعمال .. حفل من الطراز الذي تحضره مرة واحدة في حياتك، ويظل فمك مفتوحاً عدة أشهر بعدها بينما تظل زوجتك ترمقك في نظرة صامتة .. معناها كما هو واضح هو: لماذا فقدت عقلي وقبلت الزواج من هذا المتسول ؟

قلت لها في وضوح:

«هذا الرجل لص .. ولهذا دعاني إلى الحفل لأنه حريص على أن يكسب مودة بعض رجال الشرطة متوهمًا أنهم سيساعدونه يوماً ما ..»
«هراء !... هؤلاء هم عليا القوم بلا زيادة أو نقصان ..»

حمام السباحة مغطى بأضواء كاشفة ملونة والبالونات الملونة تسبح فوق مائه، بينما ينتشر حول أقدامنا ذلك الضباب الغريب .. ثم يقطع شعاع الليزر كل هذا من حين لآخر .. هناك منحدر زلق شديد الميل يقود إلى المسرح (ولم أفهم الغرض منه وقتها) حيث تقف فرقة تعزف موسيقا راقية .. كان هناك غناء لكنها تلك المطربة الساحرة التي لا أذكر اسمها والتي تراها في الفضائيات كلها ..

أما عن الطعام فحدث ولا حرج .. لحوم الكانجارو والتعام وأسماك القريدس والاستاكوزا والروبيان (الجمبري) .. طبعاً لم أذوق أيًا من اللحوم العجيبة لكنني انبهرت بوجودها ..

هناك الكثير من الرقص وهؤلاء القوم الذين يعتبرونهم زيد المجتمع، والذين يحمل كل منهم لقب (بيه) .. وهناك ضحكات مفتعلة ومجاملات و.. و..

المهم أنني لم أكن سعيداً على الإطلاق .. كنت أريد أن ينتهي كل هذا .. دعك من أن حياتي كضابط شرطة جعلتني لا أجد راحتي النفسية إلا في أوساط أكثر خطورة وأقل افتعلاً .. يبدو أنني لا أكون على راحتي إلا مع لصوف الشقق والنشالين والقتلة .. الآن أجدهم ليسوا بهذا السوء ..

عندما توقفت الموسيقى، ظهر صاحب الحفل من مكان ما وأعلن عن فقره سوف تدير

موسنا .. إنه قد استطاع أخيراً أن يقابل (هرقل) .. (هرقل) لم يمت وإنما خليفته موجود هنا معنا، وبما أنه حريص على إمتاعنا وإبهارنا فقد دفع له كي يعرض قواه على السادة هنا ..

ودوت الموسيقى على حين ظهر شاب له ارتفاع وحجم الغرفة التي تجلس أنت فيها الآن .. كان يلبس قميصاً حشر فيه صدره كيفما كان حتى أوشكت أزراره على الانفجار .. أسمر اللون له عنق صلب محتقن الأوردة، وقدرت أنه في العقد الثالث من عمره ..

دون كلمة أخرى مد (هرقل) يده إلى كأس فارغة فبدأ يقضم الزجاج منها ويلوكة في استمتاع كأنه قطعة من الحلوى .. شهقت بعض السيدات غير مصدقات وضحك الرجال .. الأخ (هرقل) ينهي الكأس ثم يرفع لنا ما تبقى منه .. يصفق الجميع .. وأخيراً جاء الجزء الضخم من العرض .. لقد دخلت سيارة يابانية (نصف نقل) إلى المكان فابتعد الناس يفسحون لها الطريق منبهرين .. تراجعت السيارة بظهرها لتصعد المنحدر شديد الميل إلى منتصفه، على حين قال صاحب الدعوة:

«كما ترون .. السيارة تعتمد على فراملها لتبقى حيث هي، لكنها مهددة في أية لحظة بأن تنحدر لأسفل .. (هرقل) سوف يبقى السيارة حيث هي بقواه المذهلة»
(هرقل) تقدم في ثقة فريط حبالاً إلى مقدم السيارة، ثم جذب الحبل وريطه إلى وند يخرج من أرض المسرح ولفه ثلاث مرات ثم جذبه على كتفه .. وبدأ الشد ..
«الآن اعدوا أيديكم للتصفيق ..»

خرج سائق السيارة منها ليرينا أنه لم يعد يضغط على الفرامل .. لكن السيارة ظلت حيث هي بمعجزة صغيرة .. إن عضلات (هرقل) هي الشيء الوحيد الذي أبقاها حيث هي .. كان يشد الحبل بقوة وعنف وقد ارتسمت الأوردة بوضوح على عضلاته .. وللحظة شعرت برهبة حقيقية وأنا أرى رجلاً يشد سيارة زنتها عدة أطنان باستعمال قواه الجسدية لا أكثر ..

تعالى التصفيق .. لا أحد يصدق ما يراه .. وقالت زوجتي:

«أو كان هذا العملاق هو (هرقل) فإن صاحب الحفل هو (قارون) ..»

أخيراً اكتفوا من التصفيق فعاد سائق السيارة لها، وفك صاحبنا الحبل لتتهادى السيارة نازلة المنحدر ..

اعترف أننا حينما عدنا لدارنا ظل هذا العرض الأخير في ذاكرتي فترة لا بأس بها

.. لم اعتد أن أرى عروض الحواة هذه في الحفلات العامة، لكن صاحب الحفل كان مصرًا على أن تنقطع أنفاسنا انبهارًا ..

مساء اليوم التالي ذهبت لزيارة صديق عمري (عصام) الذي أقعدته الإصابة فصار (رهين المحبس) على طريقة (أبي العلاء المعري) .. محبس المقعد المتحرك ومحبس ميله إلى العزلة .. لم يعد له من صديق ولا أمل إلا الرياضيات ..

جلست في غرفته التي امتلأت بالمراجع الرياضية وقلت له في إحباط: «حفل من هذه الحفلات يشعرني بالتضاؤل .. هؤلاء لم يكونوا بشرًا عاديين .. إنهم يملكون الجمال والمال والنفوذ .. بينما أنا رجل شرطة لكني لا أستطيع أن أجد سببًا ليصلح حوض المطبخ ..»

ابتسم ابتسامته الساخرة المنهكة وقال:

«لأنك رجل شرطة شريف لا يستغل نفوذه .. يمكنك متى أردت أن تحقق الكثير من الأشياء .. على الأقل يمكنك أن تجد سببًا بالتأكيد .. أنت لا تملك المال ولا الجمال ولا النفوذ لكنك فرد منتج في المجتمع، بينما هؤلاء يمارسون عملًا لا تدري ما هو .. وعلى الأرجح كونوا ثرواتهم من سلب ثروات الآخرين ..»

سرتني هذه المجاملة .. على الأقل سأذكر هذه المعلومات لزوجتي .. أردت قائلاً:

«العرض الذي قدموه كان شديد الإبهار ..»

قال (عصام):

«يجب أن يكون كذلك، فالعرض الوحيد منه هو أن تنقطع أنفاسكم انبهارًا .. نبلاء الرومان كانوا يلقيون السجناء للأسود لإبهار ضيوفهم .. صاحب الحفل هذا قرر أن يقدم لكم نوعًا من ألعاب الحواة، وبما أن هؤلاء القوم لا ينزلون إلى الأزقة، فإن الحاوي يعتبر شيئًا مذهلاً بالنسبة لهم ..»

«لكنه شيء مدهل بالفعل ..»

«لست من أصحاب هذا الرأي .. هل تعرف أن عادة أكل الزجاج انتشرت بين طلاب جامعة (هارفارد) عام 1973 حتى أوقفت الإدارة ذلك بأوامر صارمة ؟.. السبب أن طالبًا يدعى (رزوفيتش) جرب أن يفعل ذلك ليبهر رفاقه، فأكل كأسًا من زجاج ومصابيح كهربائية، فلاحظ هنا أن عادة أكل الزجاج هذه نموذج لقدرة غير عادية لكن

الأشخاص العاديين اكتسبوها لأنهم أرادوا ذلك .. وطبعًا لا أنصحك بتجربة ذلك لأنه خطر جدًا ..»

«لو افترضنا هذا فما تفسيرك لموضوع جر العربة بالحبل ؟.. لا تقل لي إنه اكتسبها بالمران ...»

مد (عصام) يده إلى مكتبه فتناول ورقة وقلم، وراح يجري بعض الحسابات ثم قال لي:

«حتى لو بلغ وزن العربة 50 طنًا فإن (هرقل) صاحبك لم يكن بحاجة إلا لقوة تبلغ السبعة كيلوجرامات !.. ألم تشتري شيئًا من السوق قط ؟.. ألم تعد لبيتك حاملًا عشرة كيلوجرامات ؟.. هذا هو بالضبط الجهد الذي احتاج إليه صاحبك»

قلت في غيظ:

«هانتذا تعود لألعاب الحواة هذه ..»

قال باسمًا:

«لكنها ألعاب حواة تعتمد على العلم .. هذا الهرقل الخاص بك لا يملك قدرات خارقة .. لو قلت لي إنه جر العربة بشعره أو مباشرة كما نرى في التلفزيون لصدقت .. لكنني في هذه الحالة لا أرى إلا نصيبًا يفهم علم الميكانيكا جيدًا ..»

قلت أعرف أنه سيقدم لي تفسيرًا مقنعًا كالعادة، لكنني حاولت عدة مرات أن استيق ما سيقول، وفي النهاية جلست كطفل اشرب الشاي الذي جلبته لي (عفاف) وأحاول أن أفهم ..

قال (عصام) وهو يريني الورقة التي يمسك بها والتي امتلأت بالحسابات:

«منذ بداية التاريخ عرف الناس أنه عندما تلف حبلًا حول وتد عدة مرات، فإن قوى الاحتكاك بين التود والحبل تصل لقيمة عظيمة .. عندما تزيد لفات الحبل بمئات عديدة تتزايد قوة الاحتكاك بمئات هندية .. هذه الصيغة اهتم بها عالم الرياضيات (أويلر) الذي عاش في القرن الثامن عشر، ووضع معادلة عرفت باسمه .. هي ..»

فألمعته متوسلاً:

«لا معادلات .. أرجوك ..»

ابتسم وقال:

«أيمكن .. سألخص الأمر .. معادلة (أويلر) تستطيع بسهولة أن تحسب مقدار القوة

التي يبذلها الرجل للتغلب على ثقل ما يحاول الهبوط لأسفل .. لو كان وزن العربة
خمسین طنًا - وهذا مستحيل - وقام (هرقل) بلف الحبل حول الوتد ثلاث مرات
فإنه يحتاج إلى قوة تساوي تسعة كيلوجرامات تقريبًا .. »

«هل تعني؟»

«هذا ما أقول بالضبط .. (هرقل) هذا لم يكن (هرقل) على الإطلاق .. أما لو لفنا
الحبل حول الوتد خمس أو ست مرات فإن أي طفل صغير كان بوسعه أن يجز هذه
العربة .. »

ثم أردف باسمًا:

«هذا ينطبق على العقد كذلك .. كل بحار يعرف أنه كلما زادت العقد في الحبل ازداد
متانة .. السبب هو أن العقدة تعمل عمل الوتد في هذه القصة، وبالتالي كلما زادت
العقد كلما صار الحبل أقدر على تحمل أثقال أكبر .. »

قلت في ذهول:

«وهل هذا الهرقل يعرف هذا؟»

«نحن نمارس الكثير من حقائق الفيزياء لا شعوريًا ودون أن نعرف التفسير العلمي
لها .. نلبس ثيابًا داكنة ثقيلة في الشتاء دون أن نعرف التفسير الضوئي الحراري
لهذا .. السيارة تبطئ في المنحنيات دون أن يعرف صاحبها قانون القصور الذاتي ..
لكن ثقي إنك لو طلبت من هذا الرجل أن يجز السيارة مباشرة دون وشد يلف الحبل
حولها، لما استطاع ولسقطت السيارة من فوق المنحدر وتهشمت .. »

قلت مفكرًا:

«إذن لم يخل الأمر من زيف .. »

قال وهو يعيد الورقة إلى المكتب:

«كانت ليلة من الزيف والادعاء.. كل ما لدى هؤلاء القوم زيف وادعاء .. فلماذا يكون
هذا الحاوي استثناء؟»

عبقري هو (عصام) .. عرفت ذلك عندما قرأت أخبار القضية التي تورط فيها
مضيفي بعد أشهر من هذا الحفل .. شيكات بدون رصيد وقروض مصرفي بقدر عدة
ملايين .. لقد كان تمرًا من ورق .. حتى الحذاء الذي كان ينتعله لم يكن من ماله
الخاص .. على الأقل أنا لست مدينًا لأحد ولا أخدع ضيوفي بحواة يقهملون قوانين
الاحتكاك !

للمرة الأولى أشعر بانثني أفضل حالًا، لكنني ما زلت أبحث عن سبائك بارع، فهل
أعرف واحدًا ۱۱۶

ألعاب صوتية

عندما

زرت (عصام) في ذلك اليوم لم أتوقع ما سأراه ..

لقد فتحت لي (عفاف) الباب، فسألتها عن أحوالها .. قالت إنها بخير ..

لا .. ليست بخير على الإطلاق .. عرفت هذا من أنفها المنتفخ وعينيها الحمراء ..

وقد سمحت لي بالدخول ثم هرعت إلى الشرفة حيث يبدو أنها كانت واقفة ..

بصرامة أصابني الرعب فهرعت ألحق بها هناك وسألتها :

«هل حل مكروه بـ (عصام)؟»

نظرت لي وتظاهرت بالمرح وقالت:

«لا .. لا .. كان من السهل أن تفتح غرفته لتراه ..»

«إذن ما هي الكارثة؟» لا بد أنه وجه لك عبارة مزاح ثقيلة من عبارات مزاحه التي تزن

طنناً ..

قالت على الفور:

«لا .. لا .. إنه يأخذ حذره في كلامه معي ولعل هذه هي المشكلة ..»

لم أرد أن أتدخل أكثر، لكنني لا أطيق دموع الأنثى .. إنها غزيرة وافرة وهذا ادعى لأن

تكون رخيصة ..

لو صار الذهب متوفرًا كالحديد لما ساء شيء، لكن دموع الأنثى هي الشيء الوحيد

في العالم الذي تزداد قيمته كلما كثر .. إنها تشلنا معشر الرجال وتحيرنا وتريكننا ..

تركناها حيث هي ولم أجسر على طلب كوب من الشاي ..

في مكتبه كان (عصام) جالسًا أمام الكمبيوتر وهو يجري حسابات معقدة على

برنامج SPSS الذي لا أعرف عنه سوى اسمه ..

نحيلاً كبير الرأس وأهن الجسد تلتصق الشاشة على عدسات نظارته فتوحي بأنه

كائن فضائي غريب لا يمت لأرضنا بصلة ..

كائن لا ينبض فيه إلا العقل ..

قلت له وهو عاكف على الكتابة:

«لا أريد التدخل في شئونك الخاصة لكن (عفاف) قريبتني .. كنت أمل أن تنال منك

معاملة أفضل ...»

نظر لي في دهشة ثم قال:

«أنا ؟ لم أؤذيها قط اليوم ولا في أي يوم آخر .. أنت تعرف هذا ..»

«إذن هي تبكي في الشرفة لأنها تحب هذا ..»

نظر لي في ذهول هذه المرة وقال:

«(عفاف) تبكي ؟ لماذا ؟»

لكنني كنت قد توصلت إلى استنتاجي ..

إن زوجتي عبقرية مثل (عصام) .. أنا الأحمق الوحيد الذي أعرفه هنا .. زوجتي قالت

منذ زمن إن (عفاف) تحب (عصام) وتميل له، وأنا سخرت منها .. في كل مرة ألتقي

شدة أذن تخبرني أنني أحمق ..

قلت له وأنا أجلس إلى مقعد:

«أعتقد أن (عفاف) تحبك ..»

وهذا الحب بلا أمل في الوقت الحالي ..»

بدا كأنه أهين وهتف محتجًا:

«لا تكن غيبًا ..»

(عفاف) فتاة شابة حسنة، بينما أنا بقايا رجل .. لم يبق مني شيء حي سوى عقلي

.. فماذا يروق لأنثى في عقل على مقعد متحرك ؟»

هذه هي المشكلة ..

إنه يبدو لها حبًا بلا أمل لكنها لا تستطيع الخلاص منه ..

سريعًا لا أجروء أن أقول هذا لـ (عصام) ..

إن الوغد فائن ..

هذه العبقرية التي تدير الرؤوس والتي لا يمكن أن تصدقها ما لم ترها ..

لا أعتقد أن الفتاة تدرك بالضبط مدى عبقرية هذا الرجل، لكنها تدرك صورة

مبهمة عن قدراته ..

سألتني (عصام) عن سبب زيارتي ..

هناك ثلاثة أسباب بالنسبة له: التودد - أخذ رأيه في فكرة - الفرار من مشادة مع

زوجتي ..

قلت له:

«الثلاثة أسباب معًا ..»

أنا هارب من زوجتي، فجئت أتودد لك وأعرض عليك أن تقوم برحلة معي في البحر

الأحمر الأسبوع القادم ..»

قال باسمًا:

«يمكنني أن أمنحك شيئين لكنني أعتذر بشدة عن الرحلة فأنا مشغول كما تعلم ..

طبعًا لن تصحب المدام في الرحلة بصفتك هاربًا ..»

قلت:

«ليس بالضبط .. سوف آخذ ابني الأكبر معي .. لا سبيل لتركه .. على كل حال تمن

لي حظًا طيبًا ..»

ثم أضفت وأنا أتجه للباب:

«حاول أن تسترضي (عفاف) .. لا أعرف كيف .. هذه مشكلتك أنت !!»

«أتصل بك يا (عصام) على الهاتف الجوال وأحمد الله على أنك رددت .. نعم أنا في

وسط البحر الآن والساعة الرابعة صباحًا .. ظلام دامس .. لا أعرف لماذا أتصل بك

لكنني ملهوف وخائف .. أعتقد أن سماع صوتك قد يجعلني أفكر بشكل عقلائي ...

«نعم .. حاول أن تقيق وتركز معي .. لقد توجهت مع ابني (عمرو) إلى البحر الأحمر

كما قلت لك وقضينا يومين لا بأس بهما .. ثم تعرفت هذه الفتاة الروسية الحسنة

.. اسمها (أولجا) وأنت تعرف معنى أن أصف فتاة بأنها حسنة .. لو أنك رأيتهما

وهي تركب الأمواج على زحافتها ممسكة بحبل يجرها إلى لنش مندفع لحسبتها من

الأساطير الإغريقية .. لا لم يحدث شيء بيننا .. فقط أنت تعرف أن للجمال هيبة،

وهذه الهيبة هي ما جعلني أوافق على عرضها .. لقد عرضت أن تصحب (عمرو) في

رحلة بالنش إلى عرض البحر .. ومتى ؟ في منتصف الليل ..

«لا أعرف أي شيطان أقنعني بهذا .. كان الولد متعلقًا بها وبدا لي الأمر غير ذي

خطر .. إنها بارعة حقًا وبالتأكيد سيكون الولد في أمان معها أكثر مني .. لماذا لم

أركب معها ؟ لأن اللش خفيف جدًا لا يتحمل ثلاثًا ..

«هكذا وقفت على الشط في بلاهة أنتظر وأنتظر .. عقارب الساعة تغادر الثانية

فالثالثة .. لقد تجاوز غيابهما أي تأخير مبرر وصرت أرى الكارثة أمام عيني .. جن

جنوني بعد قليل وقدرت أن الأسوأ قد حدث .. إن (أولجا) و(عمرو) لم يعودا بعد

وئمة احتمال لا بأس به أنهما لن يعودا أبدًا .. فتاة وطفل وحدهما في البحر المظلم

الرهيب .. اتصلنا بخمير السواحل لكنه لم يلب النداء، من ثم عرض علي رجل شهم

أن نجوب البحر معًا بالنش الخاص به بحثًا عن لنش الروسية ..ها نحن ذان تلف

وندور بلا جدوى .. (عصام) .. إن قلبي يعتصر .. أتخيل ألف مصيبة وألف كارثة ..

تخيل أن أعود لأمه لأقول لها إن ابنها البكر لن يعود ..!

«ولكن .. أنا أسمع صوته من بعيد .. يصيح (بابا) .. أنا متأكد من هذا .. ليست هذه

الريح .. هذا (عمرو) يناديني .. ترى أين هو ؟ ..»

هذا جاء صوت (عصام) من هاتفني يقول:

ناده ..!

كأنني لن أفعل هذا .. صحت على الفور:

«عمرو ..!.. أين أنت ؟»

جاء صوته من بعيد:

«أنا على صخرة .. لقد انقلب اللش بنا لكننا سليمان ..!.. ساعدني يا بابا ..!

«إن هذا سهل .. البحر واسع مظلم ولا سبيل للتفتيش فيه إلا بطائرة مروحية ..

لكن متى تأتي وكيف ؟ صخرة قد توجد شمالًا أو جنوبًا أو شرقًا .. قد تكون على

بعد كيلومتر أو عشرة .. إن انتقال الصوت بهذا الشكل الممتاز لا يعني أن مصدره

قريب ..

«كنت أجن لولا أن سمعت (عصام) يتكلم بهدوء في الهاتف:

«حاول أن تهدأ وتمالك أعصابك .. أنت بحاجة لها .. هل ما زالت ساعتك تعمل

الساعة إيقاف (كرونومتر) إذا أردت ؟»

«نعم ..»

«إذن ناد (عمرو) وشغل ساعة الإيقاف بمجرد أن يخرج الصوت منك .. عندما يصلك

صوته أوقف ساعة الإيقاف .. اتفقنا ؟ لا تكن غيبًا ..!

«لقد ما قاله حرفيًا .. وعندما عاد لي صوت ولدي أوقفت الساعة وقرأت الرقم ثم

سحبت في الهاتف:

«عشرون ثانية ..!

«ال(عصام) في الهاتف:

«عشر ثوان حتى بلغه صوتك ثم عاد من عنده في عشر أخرى ..!.. الصوت يقطع

ثلاث كيلومتر في الثانية .. إذن هو على بعد ثلاثة كيلومترات تقريبًا ..!.. أريد أن

تجوب البحر بقاربك وتواصل النداء .. حاول أن تتحرك في الاتجاه الذي يقترب فيه الصوت أكثر .. كرر نفس الأمر.. ناده ثم حدد الوقت بين نداءك وندائه .. اقسم هذا الوقت على اثنين .. ثم اضرب الناتج في ثلاث كيلومتر .. هكذا تستطيع معرفة بعدك عنه .. تحرك في كل الاتجاهات إلى أن تجد الاتجاه الذي تقصر عنده المسافة .. هل تعرف ما تفعلونه في الشرطة لتتبع الإشارة المنبعثة من مصدر ؟.. تخيل أنك في سيارة الشرطة الآن »

لم أفهم تمامًا ما يعنيه، لكنني طلبت من سائق اللنش الشهم أن يتحرك متوجلاً في البحر أكثر .. أريد منه أن يدور حول محيط دائرة نصف قطرها ثلاث كيلومترات .. ورجت أنادي وأتلقى الصوت فأعيد حساباتي في الظلام .. البحر مظلم رهيب لا ينييه إلا كشاف اللنش .. يجب أن نجد الطفل .. يجب ...

« لا .. أربعة كيلومترات !.. نحن نبتعد !.. »

وأصيح:

« عمرو !.. هل تسمعني ؟ »

« أسمعك يا بابا ! »

ثم أعيد الحسابات .. أقل من ثلاثة .. نحن نقترب ..

« كيلومتر واحد .. نحن قريبان جداً ! »

استغرقت العملية الأليمة ساعة ونصفاً .. لكن الصوت صار قريباً جداً في النهاية

.. وهتف سائق اللنش في فرح:

« الصخرة ! »

وعلى ضوء الكشاف رأيت في الأفق الصخرة الزلقة وقد وقف فوقها (عمرو) يتواشج ويهلل، بينما الروسية تلوح لنا بيدها .. سيكون من حسن حظها ألا أهشم عنقها

بيدي ..

صاحت وهي تصعد إلى اللنش:

« سباسبيا ! »

احتضنت (عمرو) في نهم ولم أقل شيئاً لها ..

وسرعان ما كانا عائدين على ظهر اللنش معنا .. في اللحظة التي دق فيها هاتفني

وسمعت (عصام) يصيح:

« هيه !.. هل وصلت لشيء ؟ »

(عصام) الذي استطاع أن يعيد لي ابني من البحر المظلم، وهو جالس في غرفة نومه في منزل مسلح إلا بالهاتف وعقله ..

لم أكلّم من فرط انفعال وناولت الهاتف لـ (عمرو) الذي قال في لهفة :

« عمو (عصام) .. أنت عبقري ! »

لنهد (عصام) وقد أزيح عن كاهله عبء ثقيل، وقال:

« لست عبقرياً .. (جول فيرن) هو العبقري ..

لقد استخدم هذه الطريقة في قصة (رحلة إلى مركز الأرض) حيث يجد البطل عمه بهذه الطريقة ..

« هذا لله على سلامتك .. فقط أريد أن تعطيني بشيء واحد .. »

« الله يا عمو (عصام) .. »

« لا تقل لأهلك شيئاً عن السائحة الروسية الحسنة التي أخذتك معها في جولة

باللنش .. لو أردت أن يحتفظ أبوك برأسه أطول فترة ممكنة فلتحتفظ بهذا السر ..

« هه .. »

« هل تعطيني بذلك ؟ »

الشفرة

أشعر كأنه أحد أفلام الأكشن الأمريكية ..

أنا جالس في السيارة أتظاهر بأنني لست رجل شرطة، وأنني لا أراقب .. وجواري يجلس (عوني) زميلي منهمكاً في التهام شطيرة ابتاعها من ذلك المطعم جوارنا .. بالنسبة له هو لا يتظاهر بشيء ..

السيارة تقف في شارع (...) في وسط القاهرة .. تقف في مكان ممنوع، لذا يبدو منا رجل مرور غاضب من حين لآخر ليطالبنا بالانصراف .. ثم يرى وجهينا وتلك النظرة في عين (عوني)، فيهز رأسه في فهم ويبعد ..

قال (عوني) والمايونيز يتساقط من جانبي فمه:

«يبدو منظرنا مريباً جداً .. لو كنت مكان هؤلاء الأوغاد لأوقفت العملية .. سوف يرسلون لبعضهم إشارة تقول إن رجال الشرطة ينتشرون في المكان ...» قلت له في غيظ:

«لا يوجد مكان آخر يسمح لنا برؤية مدخل السينما .. وأكون شاكراً لو كفت عن الكلام إلى أن تنتهي من التهام هذه الشطيرة .. لو كان هناك شيء أكرهه أكثر من الرجل الذي لا يطبق أن يبقى بلا أكل بضع ساعات، فهو الرجل الذي يتكلم وبهم ملئ بالطعام»

قال وهو يرشف كوب المياه الغازية:

«هذا وقت الغداء .. لو كانت معدتك متقلصة بهذه مشكلتك لا مشكلتي ...»

ونظرت في الساعة متوتراً، وتحسست كاميرا الفيديو الموضوعة على حجري .. يجب ألا تغفل منا لحظة واحدة ..

كانت سيارتان أخريان تقفان على بعد أمتار .. وكلتاهما مليئة برجالنا .. لا تعرف أبداً ما قد يحدث ..

أخيراً رأيته قادماً من بعيد .. يضع يداً في جيبه وباليه الأخرى يقضم قطعة من الأيس كريم .. يا له من رجل! ... ورغم خطورة ما يقوم به، يتظاهر بأنه مجرد سائح ينعم بوقته ..

هو ذا يبدو من مدخل السينما حيث بدأ الزحام يتزايد بانتظار الحفل القادم .. إنه فيلم لـ (ستيفن سبيلبرج) على ما أذكر، ومعنى هذا أن التذاكر ستنفد خلال دقائق يتب هناك وهو يقضم قطعة الأيس كريم .. ينظر حوله بعين صافية .. أقسم أن

عينيهِ التقيتا بعيني لكنهما لم تتوقفنا ..

أقدم لك (والتر كاوفمان) .. هذا هو اسمه الحالي .. المغامر الذي تعرفه شرطة عدة بلدان، والذي نراقبه منذ جاء إلى مصر .. إنه حذر كتقلب .. لكنني إذ أراه الآن لا أرى فيه شيئاً خارقاً .. مجرد سائح ممن تصطدم بالعشرات منهم في شوارع القاهرة وتساهم على الفور ..

في حذر أخرجت الكاميرا وشغلت عدسة التقريب، وبدأت أصوره .. إنه يجري مكالمات هاتفية .. يقف .. يبدو أنه يشعر ببعض القلق ..

وسط الزحام أرى الشاب المصري الآخر .. إنه يقترب منه .. يتبادلان التحية، ثم يناوله الشيء الحقيقية .. حقيقة سفر رياضية الشكل بريئة المنظر لا تشبه حقائب النقود المربعة التي تراها في السينما ... يناوله (والتر) وريقات صغيرة ويبتسم ..

فجأة أظلم الكادر تماماً فرفعت عيني عن الكاميرا، لأجد تلك السيارة (الفان) تقف بجواري حاجبة عني الرؤية تماماً .. جرى شرطي المرور يتشاجر مع السائق يطلب منه الابتعاد، على حين ترحل رجالنا من السيارتين وركضوا نحو مدخل السينما .. لكن (والتر) لم يكن هناك ..

هبط وقف الشاب المصري مرتبكاً يحاول الفرار، لكن رجالنا أحاطوا به تماماً .. مد يده بالورقة إلى فمه، فصرخ أحدهم وبصعوبة تمكنوا من أن يمسكوا بيده وينزعوا الورقة منها ..

كان (والتر) قد ذاب تماماً ..

قلت لـ (عوني) وأنا أطلب رقماً على جهازتي الجوال:

«لا تتركوا سائق الفان يرحل ..»

أراهن على أنه يعمل مع (والتر) ..

لقد تلقى مكالمة تطلب منه أن يحجب الرؤية عنا .. (والتر) ثعلب وقد شعر بنا بسهولة ..

قلت لك إنه لم يكن يتقصنا إلا تعليق لافتة (الشرطة في خدمة الشعب)»

«سأفعل هذا المرة القادمة ..»

على الأقل لم يفر هذا الشاب .. سوف يتكلم .. أؤكد لك أنه سيتكلم»

لكن الفتى لم يتكلم ..

بعد أيام مرهقة من التحقيق لم نخرج بشيء .. فقط اعترف الفتى بأنه كان مكلفاً بالاتصال بـ (كاوفمان) وإعطائه مبلغاً من الدولارات، مقابل أن يخبره هذا الأخير بالموضع الذي يخبئ فيه عدة كيلوجرامات من الهيرويين ..

ما حدث - يقول الفتى - هو أننا تدخلنا .. هكذا أفلت (كاوفمان) بسهولة، ولم يستطع الفتى أن يعرف مكان الهيرويين .. إن من مصلحته أن تبقى رهن الاعتقال لأن من يعمل معهم لن يصدقوا حرفاً مما يقول .. سوف يقطعون رقبتك على أقل تقدير ..

والورقة التي أخذها من (كاوفمان)؟ الفتى يؤكد أنه لا يعرف ما فيها .. حتى عندما أطلعناه على محتواها لم يفهم حرفاً .. قال إنها شفرة على الأرجح .. ومن يقدر على فكها هم الذين أرسلوه .. هو مجرد ساع لا أكثر ..

«وكيف كنت تضمن أنه لا يتلاعب بكم؟»

لربما أخذ المبلغ وفر من دون أن يقدم شيئاً؟

قال الفتى في كبرياء:

«من أعمل معهم أقوياء ولا يمكن خداعهم .. هذه نقطة .. النقطة الثانية هي أن الأمر يتعلق بالسمنة .. لن يتعامل أحد مع مهرب مخدرات سمعته سيئة»

سمعة حسنة في تهريب المخدرات؟ إن المرء لا يكف عن سماع العجائب طيلة

حياته ..

بدأت مع تكرار الأسئلة أو من أن الفتى يقول الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة .. لكن

لا يقول كل الحقيقة ..

هكذا فعلت ما كنت أتوي عمله منذ فترة ..

اتجهت إلى بيت صديقي العبقري (عصام) الذي يعرفه القارئ باسم (رجل الأرقام).

هناك كان جالساً أمام جهاز الكمبيوتر يشرب الشاي ويحل معضلة عويصة في

الجبر الحديث ..

قلت له:

«أكره أن أعطلك، لكنني فعلاً في حيرة من أمري .. إن خبراءنا عاكفون على محاولة

فك هذه الشفرة، لكنني فكرت فيك ..»

قال باسمًا وقد أشرفت قسماً وجهه الصلبة :

«شفرة .. هذا جميل .. لكن تذكر أن هناك شفرات كثيرة جداً تستعصي على الحل .. معظم الشفرات التي زعم رجال المخابرات في الحرب العالمية الثانية أنهم حلوها، تم حلها عن طريق عميل يقدم لهم المفتاح ..»

(تم سجل ما يقوم به، وتراجع بالمقعد إلى جوار الأباجرة ليلقي نظرة على الورقة في يدي ..

قلت مفسراً:

«إن أدخل في تفاصيل .. هناك مهرب مخدرات .. هناك شحنة هيرويين مخبأة في مكان ما .. هذه الرسالة يجب أن تقود إلى العثور عليها ..»

قرأ المكتوب بصوت عال:

«KY - UT - WII - EJSG - ZH - TXZGH - NX - LS - WOSH»

ثم تناول الورقة الأخرى وقرأ ما كتب عليها:

«4-10-7-3-5-3-5-2-1-5-4-1-5-3-2-5-1-5-1-3-5-1-10-4»

قلت له:

«لم أفهم من الورقة الأولى إلا أن للحرب العالمية الثانية WWII

دوراً في الموضوع ..»

«طبعاً لا دور لها ..»

ثم عاد يحك رأسه ويتأمل الورقة الأولى وقال:

«من المعتاد أن تقوم بتشفير رسالتك عن طريق استبدال كل حرف برمز أو رقم ما ..

مثلاً يمكن أن ترمز لحرف A برقم 5 وحرف B برقم 7 .. يمكن أن ترمز لحرف A

بوجه ضاحك أو علامة نجمة .. هذه هي أبسط صور الشفرة ..»

«هذا منطقي وسهل التطبيق هنا ..»

ملك رأسه وقال:

«لنفس الأمر بهذه البساطة وسأشرح لك السبب ..»

هل قرأت قصة (الحشرة الذهبية) لـ (إدجار آلان بو)؟ ..»

«أنت تعرف أنني لا أقرأ ..»

«ليكن .. في هذه القصة وجد البطل شفرة مماثلة تقود لكنز القرصان .. كان يعرف

أن أكثر الرموز استعمالاً في الإنجليزية هو E .. بالتالي قرر أن أكثر رمز يتكرر

في الرسالة سيكون هو الـ E مهما كان شكله .. عندما تتكرر ثلاثة حروف تنتهي

بـ E فالاحتمال الأكبر هو أنك تعني لفظة The .. هكذا استطاع أن يصل إلى ثلاثة حروف، ومع جهد جهيد بدأ يكون الرسالة كاملة .. الطريقة التي استعملها هذا البطل هي التي عرفها علماء الشفرة فيما بعد باسم entropic attack . وهي لا تحتاج إلى عبقرية خاصة .. كل من يملك المثابرة قادر على أن يحل الشفرة التي تكون بهذا الشكل ..»

ثم راح يتأمل الرسالة وقال:

«هنا لا يوجد حرف واحد يتكرر بصورة موحية .. هذا يعني أن طريقة entropic attack لا تصلح وحدها .. هذا الرجل أذكى من ذلك ..»

ثم قال في استمتاع:

«اللعبة هي أن تستخدم أكثر من رمز في ذات الرسالة .. مثلاً لا تشير الـ Z في كل مرة إلى حرف A .. بل يمكن أن تشير الـ F مرة والـ L مرة .. هذا يجعل الرسالة مستحيلة الفهم على من تقع في يده»
«وكذاك من يتلقاها أيضاً!»

«هذا حق .. لهذا لا بد أن يكون لديه مفتاح يبدله على تتابع الاحتمالات .. إنها ما يدعى (أجنحة المرة الواحدة أو One time pad) ووقعها في يد العدو معناه أن الشفرة تم حلها ...»

ثم أمسك بالورقة الصغيرة المرفقة وقال:

«هذه هي .. إن حرف A يرمز له برقم 1 في كل الشفرات .. B هو رقم 2 .. وهكذا .. كل شخص يعرف هذا .. تطالبك المذكرة الصغيرة المرفقة بأن تطرح رقم 4 من الحرف الأول و10 من الرقم الثاني و1 من الرقم الثالث .. وهكذا .. ثم تجد الحروف التي تحمل هذا الترتيب الصحيح .. هكذا تعرف الحروف الأصلية للرسالة .. تعال نجرب معاً ...»

وأمسك بورقة وقلم وراح يدون ..

«أول حرف في الرسالة هو K ورقمه هو 11 في الأبجدية .. اطرح منه 4 تحصل

على 7 .. الحرف السابع في الأبجدية هو G .. الآن الحرف التالي في الرسالة Y

رقمه هو 25 .. سوف تطرح منه 10 لنحصل على 15 .. الحرف الخامس عشر في

الأبجدية هو O ..»

هتفت وقد بدأت الإثارة تستبد بي:

«Go .. أي اذهب!»

هكذا راح يواصل تصحيح الرسالة حسب الورقة الصغيرة، وفي النهاية قرأ ما توصل إليه:

«Go to the cine WC Stuff in third»

ثم رفع عينيه نحوي وقال:

«معنى الرسالة هو: اذهب إلى دورة مياه السيما .. البضاعة في الثالثة ...»
«أية ثالثة؟»

تأمل لي في صبر وقال:

«الابد أنهم لم يغيروا تصميم دورات المياه مؤخراً .. هناك قمرات صغيرة متلاصقة .. ليس كذلك؟ .. البضاعة في القمرة الثالثة ..»
«ماذا لم يستخدم أسلوباً محكماً؟»
«هذه رسالة شفرة وهؤلاء مهربو مخدرات .. لسنا في امتحان اللغة الإنجليزية للثانوية العامة ..»

اتجهت إلى الهاتف مسرعاً وطلبت (عوني):

«يجب أن تقوموا بتفتيش دورة مياه السيما جيداً .. بسرعة (.. طبعاً وضع (والتر) البضاعة فوق صندوق الطرد كما يحدث في السيما .. هذه أماكن لا يفتش فيها عمال النظافة أبداً .. المهم أن تسرعوا .. قد ينجح رجال العصابة في الاتصال به ومعرفة مكان المخدرات شفهياً ...»

قال ضاحكاً:

«إن يحدث هذا ... إنهم اعتقلوا في المطار رجلاً يمكن أن يكون (والتر كاوفمان) هذا .. سوف نذهب حالاً لتقصي الأمر لكنني أعتقد أنه سقط في الشرك»

«هل أن تذهب للمطار يجب أن تفتشوا السيما جيداً ...»

ووضعت السماعة .. واتجهت للباب .. قبل أن أغادر المكان نظرت إلى (عصام) الذي

نسى كل شيء عن الموضوع وعاد إلى معادلاته المعقدة على شاشة الكمبيوتر ..

قلت له همساً وبصوت لن يسمعه ختماً:

«شكراً لك!»

الرقم الغامض

كما

قلت في لقائنا الأول: إن ذكاء الأرقام صفة أقدرها بشدة وأدرك أنني لم أحظ بقسط مناسب منها .. (عصام فتحي) كان يختلف عني في كل شيء .. كانت له تلك الموهبة الرقمية غير العادية، فلم يكن ينسى أي رقم، وكان قادراً على إجراء أية عملية رياضية بسهولة تامة .. حسدته لفترة وحاولت منافسته . استغرق الأمر عدة سنوات حتى بدأت أرى أن موهبته شيء كأنوفنا وشعورنا وطول قامتنا .. نحن نولد بها وعلينا أن نقبل حقيقة امتلاكها أو افتقارنا إليها.. دعك من أنني كنت أتفوق عليه في نقاط أخرى.. لم يكن يتذوق الشعر أو يفهمه .. لم يستوفقه قط جمال فتاة .. لم يلعب لعبة رياضية في حياته .. لكن علاقتنا لم تنقطع قط .. كان يكمل ثغرات عقلي وكنت أكمل ثغرات شخصيته ..

كنت أتردد على داره حيث تفتح لي الباب (عفاف) فتضحك في حرج، وسرعان ما تنقل لي تقريراً سريعاً عن سيدها ومريضها وصديقها .. كانت تقول لي همساً وبسرعة:

«إنه مقل في الأكل هذه الأيام .. لا أعرف السبب .. أعددت له بعض حساء الخضير لكنه لم يلتهم إلا بضع ملاعق .. يكثر من القهوة .. أرجو أن تنصحه بأن هذا سوف يؤذيه .. هه 5.. أنا لم أقل لك شيئاً ..»

وسرعان ما اقتادتنني إلى حجرته .. أنا الشخص الوحيد الذي يحق له أن يأتي في أي وقت وبلا موعد سابق ..

على مقعده المتحرك هش وبش عندما رأيته، فقلت له:

«لا أعرف السبب في فقدان الشهية الذي أصبت به .. قرأت في مجلة طبية أن الإفراط في القهوة يسبب سرطان البنكرياس.. لا أريد أن أبدو كغراب البين لكن السرطان يسبب فقدان الشهية»

قال باسمًا:

«لا أعرف من أين تأتي بهذه الأخبار .. لا بد أنها (عفاف) .. إنها تتعامل كأنها أمي بالضبط ... مهما أكلت تصر على أن شهيتي ليست على ما يرام ..»

قلت في خبث:

«كل رجل يحتاج إلى أم وممرضة وممثلة سينما حسناء .. طوبى للرجل الذي يجد زوجة تجمع هذه الصفات جميعاً ...»

هذه وجهه في أحد المراجع الرياضية العملاقة المترامية على المكتب وقال:

«هراء .. على فكرة أنت تهذي .. هناك رجل يدعى (ثروت) يتصل بها كثيرًا هذه الأيام .. يحمر وجهها ويتحول صوتها إلى همس .. لو كنت أكثر حزمًا لطلبت منه ألا يتصل بي في بيتي»

ثم قال بلهجة درامية:

«هي أنثى .. أنثى كاملة .. تحتاج إلى شاب كامل مثلها .. وليس من هو مثلي .. مجرد عقل على مقعد متحرك»

كانت الأخبار غريبة بالنسبة لي .. إذن أنا أحق والأغرب أن زوجتي (غادة) حمقاء .. كنت أحسب النساء لا يرتكبن أخطاء في هذه الأمور .. قلت له:

«وما علينا ..»

«لا يبدو عليك أنك آتيت اليوم تطلب رأيي في قضية ما ...»

هزأت رأسي وحمدت الله على أن الحال ليس كذلك .. من الجميل أن يكون سبب مجيئي هو الصداقة لا أكثر .. أتمنى لو جريت هذا مرة واحدة على الأقل ..

هكذا جلسنا نلعب الشطرنج .. من المستحيل أن تهزمه لكنه يجيد برمجة عقله على مستويات أقل ... مثلما يقلل الأجانب سرعة كلامهم عندما يتكلمون معك كي تفهمهم ..

لما كنا نلعب الشطرنج تصف ساعة، إلى أن طرقت (عفاف) الباب وقالت في تهذيب:

«(عصام) .. إن (ثروت) يريد الكلام معك!»

اتصلت وتصلب (عصام) ونحن ننظر إلى ما وراء كتفها، حيث وقف ذلك الرجل النحيل الأسمر .. هل بلغت الجراحة به هذا الحد 5.. هل ينوي أن يطلب يدها من (عصام) 5.. إذن لا بد أنه مخبول ..

قال (عصام) في حدة:

«(عفاف) .. قلت إنني لا ألتقي زيارات إلا بموعد مسبق ..»

قالت هي استعطاف:

«أرجوك .. إنه قريب لي وهو في ورطة حقيقية»

(عفاف) قريبة لي من بعيد .. معنى هذا أن (ثروت) هذا قريبتي بشكل ما ..

هكذا هز (عصام) رأسه الضخم .. نزع عويناته ليمسحها بمتديل ورقي ثم أعادها

إلى أنفه، على حين دخل (ثروت) الغرفة ..

رجل نحيل أسمر كما قلت .. يلبس قميصاً أنيقاً غالي الثمن لكنه يحتاج للمكي

.. في عينيه نظرة ذابلة ذاهلة .. وبدا لي كئيلاً إلى حد لا يصدق .. هذا الرجل لا

يمكن أن يلعب دور فارس الأحلام أبداً .. هناك شيء واحد يجمع هؤلاء الذين يجذبون

النساء .. الحيوية .. قد يكون الرجل قبيحاً كالأبالسة أو وسيماً كالملائكة، وقد

يكون بديناً كخنزير أو نحيلاً كثعبان المرجان، لكنه في جميع الأحوال يجب أن يتمتع

بالحيوية كي تنتظر له النساء أصلاً...

جلس (ثروت) على مقعد جوار الباب ومسح أنفه .. استطعت أن أرى في يده اليسرى

ذلك الخاتم الذي يقول بوضوح إنه ليس فتى أحلام (عفاف)...

قالت (عفاف) في حماس:

«سيحكى لكم قصته بنفسه .. إنه يحاول مقابلتك منذ أيام لكنني بصراحة حاولت

التوصل من الأمر ثم وجدت أنك أكثر لطفاً من أن تتضايق لهذا ...»

ساد الصمت بينما تكلم (ثروت) بصوت مبحوح جدير بأن يخرج منه:

«أقدم لكم نفسي .. أنا (ثروت أبو مندور) .. متزوج ولدي طفلان .. كنت أعمل مدرس

رياضيات ...»

ابتسم (عصام) في انتصار وقال:

«نحن إذن زميلان بشكل ما ...»

«كنت .. لقد تغيرت حياتي منذ ثلاثة أشهر .. كنت أمشي شارد الذهن في وسط

المدينة .. لا بد أن الإشارة كانت خضراء للسيارات لكنني لم ألحظ هذا .. في لحظة

من اللحظات سمعت فرملة عالية، ووجدت نفسي على الأرض بين أقدام المتزاحمين

صداع هائل يغمر رأسي .. وكان هذا آخر ما استطعت أن استوعبه .. فقدت الوعي ..

في المستشفى أفقت لأجد زوجتي وأطفالي حولي ...»

نظرت لـ (عصام) نظرة ذات معنى قبادلني إياها .. واضح أنني وزوجتي عبقريان

هذا الـ (ثروت) لا يشكل خطراً من أي نوع .. زوجة وأطفال ... هذا كثير ..

واصل (ثروت) كلامه:

«عرفت أنني أصبت بارتجاج في المخ .. لا بد أنني كنت في خطر داهم ليوم كامل،

لكنني في النهاية ثبت إلى رشدي وغادرت المستشفى وسط المهنئين .. فقط كنت

أسرف يقيناً أن شيئاً في عقلي لم يعد كما كان ..

«كانت هذه بداية العام الدراسي، وهنا عرفت حجم المشكلة .. إنني أقف أمام لوح

الكتابة في الصف فاكتب بداية المعادلة .. ثم أصل لآخرها فأنسى ما بدأت به .. أبداً

العبارة وأنسى ما كنت أريد قوله .. صار التدريس عذاباً ، وقد قبل المدير أن يمنحني

سنة إجازة بدون راتب ..»

قال (عصام) شارد الذهن:

«المعنى أنا عن الحوادث .. لكن (حادثي) لم يمس عقلي .. لقد قيدني إلى هذا المقعد

بهدية حياتي»

قال (ثروت) وقد احتشد الدمع في عينيه:

«لا أدري إن كان لي أن أحسدك !.. من الفظيع أن تدرك أنك غير قادر على التركيز

ولا استجماع أفكارك .. هذا عذاب يفوق عذاب أن تجد نفسك سجين مقعد متحرك

.. هناك من الأطباء من يؤكد أن الأمور ستتجسن مع الوقت ومع التدريب الذهني،

لكن ورطتي أكبر من هذا .. أنا أحتفظ بكل مالي في المصرف تحت رصيد ائتمان ..

ولكني أتمكن من التعامل مع هذا الرصيد عبر الصراف الآلي لا بد لي من أن أتذكر

بعضاً سرّياً من أربعة أرقام .. طبعاً نسيته تماماً .. معنى هذا أنني مفلس فعلاً...»

قلت أنا وقد بدا لي هذا غريباً:

«يمكنك أن تطلب منهم في المصرف أن يعطوك رقماً جديداً»

قال (ثروت):

«هذه مشكلة أخرى .. لا أذكر كيف كنت أوقع .. هناك طريق قانوني معقد لإثبات

أنني هو أنا .. لكنني لا أستطيع الانتظار .. زوجتي لا تعمل وأنا فعلياً مفلس ..»

قالت (عفاف) التي ابتلت عينها من فرط التعاطف:

«هنا جاءك يطلب رأيك ..»

قال (عصام) في حيرة:

«لا أدري كيف تطالبني بمعرفة رقم نسيته أنت ...»

قالت (عفاف):

«ربما لو جرب بعض التباديل والتوافيق ..»

ضحك (عصام) حتى سالت عيناه وقال:

«هل تعرفين عدد التباديل والتوافيق لعدد رياضي ؟.. سوف يقف بقية حياته أمام الصراف الآلي يجرب .. 1111 .. ثم 1112 .. ثم 1113 .. الخ .. أعتقد أنه من الأسهل أن يفتش بين أوراقه .. من الصعب ألا يكون قد دون الرقم السري في مكان ما .. الحماسة كل الحماسة أن يكتفي المرة بذاكرته في هذه الأمور ..»
قال (ثروت):

«للأسف .. يبدو أنني اعتمدت بالفعل على ذاكرتي ..»

«إذن أنت أحمق أو كنت كذلك..»

ثم فكر حيناً .. وقال:

«من المعتاد ألا يحمل المرء البطاقة والرقم السري في مكان واحد .. هذه حماقة لأنها هدية للصوص .. لكنني أرغب في أن أفتش حافظتك بعناية .. هل تسمح لي ؟»
«بالتأكيد ..»

ويبدو مرتجفة أخرج البائس حافظته وراح يرض محتوياتها على المنضدة .. صورة لزوجته وأطفاله .. إيصال .. تذكرة سينما .. بطاقة هوية .. آية قرآنية صغيرة .. ثم البطاقة اللعينة التي صارت بلا قيمة ..

راح (عصام) يتفحص الأوراق .. ثم أمسك بتذكرة السينما وقال:

«من الغريب أن يحمل المرء معه تذكرة سينما .. إلا في حالة ما إذا كان دون عليها شيئاً مهماً ... كان أحمد شوقي الشاعر يدون بدايات قصائده على علبة تبغ قبل أن ينسى ..»

ثم قلب التذكرة وقرأ بصوت عال:

«هناك كتابة بخط اليد تقول: MMMM CCCC LV III»

قلت له في ضيق:

«واضح أنه كان يجرب قلماً جديداً لا أكثر .. هذا لا معنى له ..»

نظر (عصام) للرجل في ثبات وسأله:

«هل تذكر هذه الكتابة بشيء ؟»

قال في حيرة:

«لا .. أعتقد أنها هراء كما يقول السيد ..»

فكر (عصام) حيناً ثم قال:

«هناك شعب واحد استخدم الحروف اللاتينية كأنها أرقام .. الرومان .. لقد رمزوا لرقم خمسة بالعلامة V .. ورمزوا لرقم خمسين بالعلامة L .. ورمزوا لرقم 500 بالعلامة D .. حرف M معناه ألف .. وحرف C معناه 100 .. وموضع العلامة المجاورة يدل على وجوب الإضافة أو الطرح .. مثلاً العلامة V معناها خمسة .. عندما تأتي علامة الواحد I قبلها كان هذا دليلاً على رقم 4 .. ولو جاءت بعدها فلنحن نتكلم عن رقم 6 ..»

• الرقم الروماني LV III CCCC MMMM معناه ببساطة هو 8 زائد 50 زائد 400 زائد 4000 .. أي الرقم 4458 ...

ثم نظر إلى (ثروت) المذهول وقال:

«هل تذكرت الآن ؟»

«لا ...»

«أنت مدرس رياضيات وهذه الأمور بديهية بالنسبة لك أو كانت كذلك .. كنت ترغب في أن تدون الرقم السري وفي الوقت ذاته لا تريد أن يكون واضحاً بالنسبة لمن يسرق حاجياتك .. هكذا دونت الرقم بهذه الطريقة التي يصعب فهمها على اللص العادي .. إن الأرقام الرومانية عسيرة الفهم وغير عملية على الإطلاق .. تخيل ناتج ضرب MM CC V II في CCLXXV مثلاً ؟»

ثم قال وهو يعيد الحافظة له:

«الهرب الآن إلى المصرف وجرب هذا الرقم 4458 .. أعتقد أنه سيحل مشكلتك»

اعبر وجه (ثروت) ونهض ملهوفاً .. كان الوقت متأخراً لكن الصراف الآلي لا ينام .. نظرت (عفاف) لـ (عصام) في إعزاز وتقدير ثم غادرت المكان ..

قلت له في خيبت:

«أرى الرضا على وجهك .. لقد أسعدك أن تعرف الحقيقة ..»

«معرفة الرقم الروماني ؟»

«هل حقيقة أن (ثروت) هذا متزوج ويعول .. ومفلس أيضاً ؟»

«لم انتظر لمعرفة رد فعله لأنني بادرت بالفرار من الغرفة قبل أن يقتك بي ..»

يوم الوحش

عامة

لم أشعر بارتياح كبير لتلك الفتاة (ميليسا) التي عاد بها أخي من زيارته للولايات المتحدة .. إن أخي (مصطفى) من الطراز العاصفة إياه .. يفعل ويحب ويضرب ويقتل ثم يفكر .. كل كلامه صراخ ومشاعره بكاء وجدله عراك .. في الثامنة والعشرين هو .. مهندس اتصالات في شركة مرموقة، وأعتقد أنه وسيم أقول إنني أعتقد ذلك لأنني أراه بعين الأخ الأكبر الفخور بكل شيء .. وكما يقول المثل الشعبي: «من يشهد للعروس غير أهلها ؟»

سافر (مصطفى) إلى الولايات المتحدة لمهمة تتعلق بالعمل .. طبعاً كانت هذه أول مرة يسافر فيها .. وكان غير متزوج مندفعاً لذا توقعت السيناريو الذي سيحدث.. سيعود بعد عامين وفي ذراعه (جين) أو (كاتي) أو .. أو .. وسوف يصارحننا بأنه يهيم بها حباً وسيتزوجها، وسوف تطلق أمي الكثير من الصراخ بلا جدوى لأنه - ذلك الأحمق - ترك ابنة عمته التي يعرفها ويعرف أهلها وأخلاقها .. وهو نفسه لن يكون واثقاً من عواطفه .. هل يحبها فعلاً أم هو انبهار بالحضارة الغربية أم هو انبهار بالشعر الأشقر والبشرة البيضاء أم هي - في النهاية - مجرد وسيلة للحصول على الجنسية الأمريكية ؟

هذه المرة لم يعد لنا (مصطفى) بـ (جين) أو (كاتي) - وليته فعل - بل عاد لنا بـ (ميليسا) ..

عاد لنا بفتاة نحيلة تطلعي أظفارها بلون أسود وثبتت حلية إلى أنفها ، وتضع طلاء شفاه أسود .. مما أضفى عليها طابع سحرية الأجوانا .. هذه هي (ميليسا) التي يريد الزواج منها ..

قلت له في دعر:

«هذه الفتاة تبدو كمطربي الروك المجانين الذين تراه في التلفزيون .. سوف تصاب أمك بنوبة قلبية لو رأتها ..»

قال في مرج:

«يجب أن تتعلم أمي أن تقيم الإنسان بطريقة تفكيره لا طريقة ارتدائه للثياب ..» في الأيام التالية لاحظت أنه منبهر بها جداً .. وأنها تسيطر عليه وأن أمي قد اعتكفت في حجرتها تقرأ القرآن ولا تعلق .. استسلام تام لفكرة أن تنضم هذه الساحلية إلى بيتنا ..

من يدري ؟.. ربما كنت أنا عجوزاً متخلفاً كما يقول ..

قال لي (مصطفى) ذات مرة:

«عيد ميلاد (ميليسا) قادم .. إنه في السادس من يونيو .. تريد أن نذهب معاً إلى (المنيا) لنمضيه هناك ..»

تمضية الصيف في المنيا ؟.. ألا يبدو هذا غريباً ؟.. سوف يشويك الحر خاصة أن الفتاة ليست من بيئة حارة أصلاً.. هذا يذكرني بالثري البخيل الذي يحاول بيع أجهزة تكييف في القطب الشمالي وأجهزة تدفئة عند خط الاستواء .. «هل جنت ؟»

«تريد أن ترى بلدة اسمها (تونة الجبل) جوار المنيا .. حسب ما فهمت من كلامها كانت (تونة الجبل) في الماضي تحد مدينة (أخيتاتين) كما كانت أيضاً جبانة مدينة (هيرموبوليس) المجاورة.. إن (هيرموبوليس) تبعد خمسة كيلومترات شمالي (ملوي) و(تونة الجبل) ستة كيلومترات غرب (هيرموبوليس) ... (هيرموبوليس) كانت مركز عبادة (تحت) .. وهي تتحرق شوقاً لزيارة هذا المكان كهدية في عيد ميلادها ..» بصراحة لم أشعر براحة لهذه القصة .. عندما يأتي هذا الاهتمام من عائلة آثار أو امرأة وقور في الستين فأنت تقبله، لكن من العسير أن تتصور أن هذه السحلية المصبوغة تهتم بالتاريخ الفرعوني .. هل تفهم قصدي ؟.. التمنيط مهم جداً في عملنا كرجال شرطة .. رجل وقور أشيب يهتم بأخر أغنية لـ (تامر حسني) .. هل هذا معقول أو يمكن ابتلاعه ؟.. نفس الشيء هنا ..

كنا في أول يونيو .. وقد أبدت لأخي مدى تشككي من هذه الفكرة الغربية .. عندما قابلته مع تلك الفتاة في ذلك اليوم رحلت أنفحصها في دقة .. لقد وصفتها لك، لكنني لا أفهم سر ذلك الولع برقم 6 في كل شيء تلبسه .. السلسلة على صدرها تحمل رقم 616 من الذهب .. هناك وشم على معصمها برقم 616 ... وشم على أعلى كتفها بذات الرقم ..

ثم ذلك التاريخ الغريب لعيد ميلادها القادم .. 6 يونيو 2006 .. بعبارة أخرى هو 6 .. 6 .. 2006 ..

القصة كلها غريبة حقاً ..

قالت لي وهي تميل برأسها على كتف أخي:

«سوف ننطلق إلى (ملوي) للقصي أجمل عيد ميلاد .. ثم نعود لننزوج ونرجع إلى

قال أخي في بلاهة:

«هيء هيء ...»

كانت زوجتي حاسمة حازمة في رأيها في (ميليسا) وأخي:

«فتاة رقيقة تشبه الدودة وأخوك عبيط».

للمرة الأولى أوافقها بشدة على رأي .. يجب أن أفهم القصة أكثر ..

هناك أرقام في الموضوع .. وهذا يعني أنني المحظوظ الوحيد الذي يملك حجة مطلقة في الأرقام .. الشخص الذي لم أزره قط إلا وخرجت من عنده بالجواب عن أسئلتي ..

كان (عصام) صديقي العبقري القعيد يلتهم عشاءه، وأصر على أن أشاركه .. طلب من (عفاف) أن تحضر طبقاً آخر من البيض واليسطرمة .. قلت له إنني لا أتمتع بأية شهية .. أنا قلق على أخي .. لقد نادته النداهة كما في الأساطير الريفية المصرية ولن يعود على الأرجح ..

«كنت أخشى أن يعود لنا يا (جين) فعاد لنا بهذه الـ (ميليسا)».

قال (عصام) وهو يدس شوكرته في مزيد من اليسطرمة:

«إنه التعصب .. أنت لا تتوقع أن يجد سعادته مع عربية ..»

نظرت من تحت لتحت لـ (عفاف) وقلت لنفسني إن هذه الفتاة كفيلة بأن تسعد أي رجل .. جميلة نظيفة بأسلة مخلصه .. لا يتعلق الأمر بكونها عربية .. يتعلق الأمر بكونها أنثى فعلاً وليست سحلية مصبوغة ..

شرحت له الأسئلة التي تدور بذهني .. فأبطأ نوعاً من سرعة المضغ وراح يصغي في اهتمام .. فلما فرغت جففت فمه وحمد الله على الوجبة الشهية وقال:

«الرقم ستة ذو أهمية شديدة في الثقافة البشرية .. والشعوب تتعامل معه بطرق مختلفة .. مثلاً هناك قبيلة أفريقية تطلق على رقم ستة لفظ (إفا) .. عندما يعجب الشاب بفتاة يقدم لها ست أصداف .. فترد عليه بثمان .. هل تعرف السبب ؟ .. لأن نطق رقم ستة عندهم هو نفسه نطق كلمة (ارتباط) .. ونطق رقم ثمانية هو نفسه نطق كلمة (موافقة) .. الرقم أربعة - على سبيل المثال - رقم مشنوم لدى الصينيين لذا يندر أن يستعملوه في أسماء الأماكن .. إن نطقه يشبه نطق كلمة (الموت) ..»

بينما هم مولعون برقم 168 .. لأن نطقه هو ياو ليو با يشبه هذا النطق تعبير (السرطان المستقيم) .. تسعة رقم إمبراطوري لديهم، لذا كان من يستعمل رقم 9 على ثيابه يعاقب بالإعدام هو وأسرته ! ... »

قلت له وأنا أفرغ طبقتي في عصبية:

«وحياة والدك لا أريد تفاصيل .. فقط أريد تفسيرك لشخصية هذه الفتاة المولعة برقم 6»

قال في خبث وشبح ابتسامة على شفتيه:

«هذا يحتاج إلى أن ترجع إلى الكتاب المقدس .. 666 حسب الكتاب المقدس هي (سمة الوحش) .. والثقافة الغربية تربط هذا الرقم بالشیطان .. قيل إن هذا الرقم يرمز لـضد المسيح Antichrist وهو قريب من المسيح الدجال عندنا .. أو يرمز لـخادمه الذي يحمل هذا الرقم على جلده أو على شكل وشم .. سوف تعرف الكثير من هذا الكلام لو دخلت مواقع (شهود يهوه) على شبكة الإنترنت .. (كراولي) الساحر الشيطاني الشهير كان يدلل نفسه باسم 666 .. »

قلت له:

«لكن الفتاة لا تحمل رقم 666 بل 616 ...»

«أغلب دارسي الكتاب المقدس رأوا أن رقم 616 هو الأكثر دقة .. وهنا نأتي إلى يوم 2006/6/6 الذي هو عيد ميلاد الفتاة كما تزعم .. إنه (يوم الوحش) كما يعتقد

بعض المتنبئين .. يوم ظهور (ضد المسيح) ..»

كان رأسي يوشك على الانفجار .. فسألته :

«وما معنى هذا ؟»

«الافتهم ؟ .. عندما تقابل فتاة تلبس بهذه الطريقة وتستعمل رقم 616 وتزعم

أن عيد ميلادها هو يوم الوحش، فماذا تتوقع ؟ .. إنها من عبدة الشيطان .. أخوك

الأحمق اختار عابدة شيطان لتكون أمّاً لأطفاله !!»

كنت أتوقع شيئاً من هذا القبيل على كل حال ..

«وما دخل رحلتها إلى (ملوي) في الموضوع ؟»

«معبد (تحوت) القديم ومدينة (هرمبوليس) .. كل الشيطانيين في العالم يعتقدون أن

(تحوت) كتب (الهرميئات) كتابه السحري الخاص وأخفاه هناك .. سوف ترى الكثير

من تماثيل قردة الياون هناك، وهي الصورة التي تخيل بها المصريون إلههم (تحوت)

والذي اعتقد الإغريق أنه إلههم (هرميز) .. هذه الفتاة الشيطانية تريد زيارة معبد تحوت يوم الوحش مصطحبة أخاك الأحمق .. فلم ؟
لم ؟ لا أعرف .. لكنني لن أبقي هنا بانتظار الإجابة ..

هكذا وثبت من مكاني قبل أن أنهي الطعام ..
انطلقت ركضاً إلى سيارتي، وقدرتها مسرعاً إلى الفندق الذي تقيم به تلك الفتاة ..
بحثت عن اسمها في الدفتر، فوجدت أنها تقيم في غرفة رقم 616 .. طبعاً !! ..
قال لي موظف الاستقبال إنها أصرت على حجز هذه الغرفة بالذات هاتفياً قبل أن تأتي لمصر ..

انطلقت إلى المصعد .. وسرعان ما كنت أقف أمام باب الغرفة أدق الباب ..
سمعت صوتاً يقول بالإنجليزية إنه قادم .. ثم انفتح الباب لأجدها أمامي بذات ملامحها العظمية القبيحة التي زادها الطلاء قبحاً .. كانت تنظر لي في دهشة وارتباك ..

لم أنتظر وخطوت إلى الداخل .. وفتحت فمي مدعوراً .. لقد رفعت السجادة، وعلى الأرض العارية كان أخي يرقد على ظهره فاقد الوعي على شكل الرجل الفيتروفي -
إن كنت قرأت (شجرة دافنتشي) - وقد رسمت حول أطرافه شكل النجمة الخماسية .. كانت هناك شموع عند رؤوس النجمة .. الجو كله لعين كرية يثير الرعب ولا شك
إن إدارة الفندق ستصاب بالهلع لو رأت ما يحدث هنا .. واضح أنها ستزيل أثر هذا كله فور الانتهاء ... الانتهاء من ماذا ؟

قالت لي في تحد:

«سوف تدفع ثمن هذا الـ ...»

لكنني ضربتها ضربة قوية بكوعي فتكومت على الأرض وهي تنن. وانحنيت أعين أخي على النهوض، ووضعت ذراعه على كتفي واقتدته وهو يترنج نحو الباب .. لا بأس .. هذا الفندق يقدم الخمر والسوف يحسب من يرونها أنه ثمل ..

قال لي وهو معتمض العينين:

«ماذا حدث ؟»

«لا أدري .. لكنه شيء مخيف .. وأعتقد أننا أفسدنا هذا الحفل ...»

قال كالحالم :

«آخر ما أذكره أنها أصرت على أن أشرب معها بعض العصير في غرفتها .. لم تكن

هذه أول مرة»

«إن عيد ميلادها بعد يومين .. وكانت تعديك لشيء ما مهم يتم في معبد (تحوت) هي المنيا ...»

سأظل مديناً لـ (عصام) كالعادة .. هو الذي أخبرني أن الأمر يتجاوز ذوقاً شاذاً في اختيار الثياب إلى ما هو أخطر .. لا أريد التذكير فيما كان يمكن أن عمله (ميليسا) بأخي هناك في (هرموبوليس) هذه ..

إن أفعل شيئاً آخر فلن يصدق أحد قصتي .. فقط يسعدني أن السادس من يونيو قد مر ولم يحدث شيء .. فلتعد هذه الشيطانة ليلادها وحدها .. لقد فوتنا عليها فرصة أن يكون يوم الوحش أهم أيام حياتها ..

ذکریات رقمیہ

«الواقع أننا عشنا حياة لا بأس بها على الإطلاق ...»

كنت جالساً هناك معه في الشرفة، في لحظة من لحظات الإنهاك الإنساني تلك عندما تكف عن السعي وتتوقف لحظة لتتأمل لما فات وما هو آت ...

لكن هذه النعمة جعلتني أشعر بغصة في حلقى .. هذه نعمة شيخين يجلسان في دار المستن ينظران النهاية .. بالنسبة لي أشعر أن حياتي ممتدة .. ربما لم تكن في بدايتها لكنها على ما أعتقد ليست قرب نهايتها .. على الأقل لو تكلمنا بلغة معدلات الوفيات ..

رحت أتأمله ..

الحق أن جزءاً كبيراً من حياتي يتلخص في هذا الـ (عصام فتحي) .. ولو لم يكن موجوداً فعلى الأرجح لن يكون بوسعي أن أطلق لفظة صديقي على شخص آخر .. أنا رجل كثير المعارف قليل الأصدقاء ..

ربما بسبب طبيعة عملي ...

أذكر مرأهقتنا في المدرسة عندما كان (عصام) يتمتع باستخدام ساقيه، وكان أمامه نحو خمس عشر عاملاً من هذه المتعة قبل أن يفقدها في حادث السيارة ..

كنت أنا بارعاً في استخدام كل جزء من جسدي عدا العقل، وكان هو لا يستخدم أي جزء من جسده سوى العقل .. كنت أجيد كرة القدم والملاكمة والسباحة، وأحب بإفراط، وأصغي لكل الأغاني بدءاً بـ (عدوية) وانتهاء بـ (بيتهوفن) ..

(شيرين) فاقنة الكلية .. أستاذ (عامر) بعصاه الغليظة .. (إسماعيل) فتوة الصف ضخّم الجثة الذي اعتبر نفسه زعيماً لنا لمجرد أنه يملك العضلات اللازمة لذلك .. ذلك اليوم الذي أغلق فيه (إسماعيل) الصف علينا وراح يدق بيديه على المنضدة محدثاً صوتاً كفيفاً بإيقاظ الموتى، مع غناء من عقيرة تذكرك بصوت الحمير المصابا بسرطان الحنجرة ..

صخب .. جنون .. والسبب في أننا شاركناه الجنون هو تلك الطاقة الزائدة التي يتمتع بها المراهقون ..

طاقة لا مخرج منها إلا الضوضاء والصخب وربما إيذاء الآخرين والنفس ..

لا أعرف متى صعد فوق المنضدة وراح يرقص ونحن نشاركه التصفيق ..

الباب يدق .. يتزحزح .. لكنه موصد من الداخل .. لا أحد يسمع ..

في النهاية انفتح فجأة وتسمرنا ..

أو أننا رأينا وجه الشيطان يطل وسط نيران الجحيم لكان منظرًا أهدأ ترويعاً، لكنه كان وجه الأستاذ (عامر) مدرس الرياضيات ..

فان غاضباً كما لك أن تتصور ..

محمرًا كما لك أن تتخيل ...

وبسرعة عاد من كان فوق المنضدة إلى الأرض، وأخفى من كان يصفق يديه .. قال لنا الرجل وهو يقاوم النوبة القلبية الوشيكة:

«مجرد أوغاد ..

مجموعة من الأوغاد ...

لا أدري في أية بيئة نشأتم ولا ماذا علمكم آباؤكم!»

ثم أعلن أنه سينزل بنا عقاباً مروعاً ..

«شاباً سوف تذكره مهنة التعليم للأبد ...

«أنتم كذلك مجموعة من الحمير ... لا تفقهون شيئاً ...»

بدا يهدأ قليلاً ويتكلم كلاماً مفهوماً .. في النهاية وقف أمام لوح الكتابة وقال:

«سأعرض عليكم مسألة صغيرة ...

مسألة ذكاء لا أكثر ...

«لنستوف تجدون أن قلة الأدب لا تبقى للذكاء شيئاً ..

أنتم مجرد أغبياء ناقصو التربية وهذا ما سوف تعرفونه حالاً...»

ثم قال بلهجة المنتصرين:

«ما مجموع الأعداد من واحد إلى مائة؟»

أريد إجابة حالاً...»

1 + 2 + 3 + 4 + =

رباه! .. هذا يستغرق دهوراً ...

هناك على ما أذكر حل يتعلق باللوغاريتمات لكن لا أذكره ..

هكذا بدا واضحاً أننا فشلنا قبل أن نبدأ ..

الرجل معه حق ...

في هذه اللحظة نهض (عصام) وقال في أدب وبصوت خفيض:

اتسعت عينا الرجل المخيفتان وعاد يسأله:

«كم؟»

5050 ..

بدا على الرجل انه حائر .. هل هذه هي الإجابة الصحيحة فعلاً؟ ..

وجهه يقول إنها كذلك .

هنا عاد يسأل:

«وما مجموع الأعداد من واحد إلى ألف؟»

بلا لحظة تفكير قال (عصام):

500500 ..

راح الرجل يرغي ويزيد، واتهم (عصام) بأنه مجرد غبي يحفظ الإجابة بلا تفكير

حقيقي ..

في هذه اللحظة دق الجرس فأنقذنا ..

مما ذكرني بتعبير الملاكمة الغريبي : أنقذه الجرس

نسى الأستاذ (عامر) قصة الشغب ولم يبق إلا انبهاره بهذا الصبي النحيل العبقري

الذي هو - برغم كل شيء - قليل الأدب بالتأكيد ...

أما (عصام) فقد صار بطلنا لذلك الأسبوع ..

عدت من أرض الذكريات إلى جلستنا في الشرفة في الزمن الحاضر فقلت لـ

(عصام) :

«تصور أنني لم أعرف منك الإجابة قط ..»

«آية إجابة؟»

«الطريقة التي حسبت بها مجموع الأعداد من واحد لمائة ومن واحد لألف ..

أستاذ عامر ..»

تذكر القصة كلها فيدا عليه كأنه يزيح جبلاً من الزمن عن ذكرى قديمة، وقال:

«الأمر سهل .. عندما ترغب في معرفة مجموع الأعداد من واحد لعشرة اقسم عشرة

على 2 ثم ضع الرقمين متجاورين .. أي 55 ...

من واحد لمائة اقسم مائة على اثنين وضع الرقمين متجاورين .. 5050 ..

وهذا ينطبق على ألف وعشرة آلاف ...!

هذه أمور بديهية ويدهشني أن الناس لا يعرفونها ..

يا إلهي! ... إن هذا صحيح! ...

قلت له وقد تذكرت قصة أخرى:

«برغم عبقريتك أخطأت في حساب العظام في ذلك اليوم .. عندما زرنا أختك في

دارها بعد ما أنجبت»

ابتسم في غموض ولم يعلق ..

كنت فرداً من أسرة (عصام) بحكم الصداقة، وكانت أخته (هالة) متزوجة من مدرس

أحياء فيه شيء من السماجة ..

بكثير من الدعابات الغليظة السخيفة ..

جلسنا هناك نهني الأم بوليدها الرقيق الهش ..

وكنت قد جلبت لها علبة من الشيكولاته كما هي العادة .. جلس الزوج بمنامته

(الكستور) ذات الخطوط الخضراء التي تميز ثقيلي الظل، وراح يوجه لكلماته الثقيلة

ذات اليمين وذات اليسار، ثم قال في فخر:

«لقد أنفقت على هذا القرد الصغير مبلغاً لا بأس به بين السبوع ومصاريف

المستشفى ..

هل تعرفون كم؟»

إنه عدد عظامنا جميعاً! ..

ساد الصمت ..

دعابة علمية أخرى من الخير عدم التعليق عليها، لكن (عصام) طالب المدرسة

الثانوية قال في ثبات:

«صرفت 1124 جنيهاً ..»

أنت دقيق في الحساب ...

كان هذا مبلغاً فادحاً بمقاييس تلك الأيام على كل حال ..

لكن الزوج قال في سخرية:

«بل 1030 جنيهاً ...

حسبتك أذكى من هذا ...»

لم غمغم لزوجته في تهكم:

«لا تعرفين أبداً ما يعلمونه للصبي في المدارس هذه الأيام!»

لم افهم تلك العملية الحسابية التي قام بها كلاهما، والتي يختلفان عليها ...
آثر (عصام) الصمت وظل صامتاً بعد كل هذه الأعوام، لكنه في هذه الليلة وقد أثرت
القصة من جديد قال:

«كنت دقيقاً كعادتي لكنه جاهل مغرور ... عدد العظام في الجسم البشري 206
وكنا نحن خمسة .. هو وأنا وأنت وأختي والرضيع .. أراد أن يبهتنا فضرب 5x206
فكانت النتيجة 1030 وهو بالصدفة المبلغ الذي أنفقته فعلاً.. ما فاته هو أن عظام
الرضيع تكون 300 عظمة ثم يلتحم بعضها فيما بعد ..

إذن 4x206 ثم أضف 300 ليكون الناتج 1124»

«واستطعت أن تصبر فلا تصبح له المعلومة؟»

«أثار غيظي بكل هذه المباهاة والغرور، فقدريت أنه لا يستحق هدية المعرفة!»

كان الغروب قد ولى ليحل محله الليل الحزين الأزرق البارد ...

سمعنا صوتاً يتحرك في الشرفة ثم ظهرت (عفاف) في الظلام، وكانت تحمل

مجموعة من الأوراق في يدها .. قالت في شيء من الاعتذار:

«معذرة للمقاطعة، لكن البواب يطلب 317 جنيهاً ...»

«هذه أخبار قاسية لبداية الأمسية .. والسبب؟ .. هل هو مزاجه الخاص؟ .. هل شعرت

فجأة بالشهوة لامتلاك 317 جنيهاً؟»

«مبلغ 27 جنيهاً شهرياً رسوم تنظيف الدرج .. هذه فواتير أحد عشر شهراً ...»

أكره تراكم الفواتير بشدة .. عندما تكتشف أن عليك أن تدفع مبلغاً يتجاوز الثلاثمائة

بدلاً من 27 جنيهاً ...

لكنني فتشت في جيبتي عن المال ورحت أعده كي لا أضطر (عصام) إلى مغادرة

الشرفة، لكن (عصام) قال لي في ضيق:

«ألا تتأكد أولاً من صحة الرقم الذي يطلبه؟»

قلت في ضيق:

«لو كنت تتوقع أنني سأطلب قلمًا وورقة لأضرب 27x11 في هذا الظلام فأنت

مخطئ .. الرجل لن يسرقك»

«الناس إما لصوص أو جهلة بالحساب ... وكلاهما خطر على حافظتك .. إن حساب

هذا الأحق أو اللص 297 جنية فقط ..»

صدقته بلا تدقيق وعددت المبلغ ونقذته (عفاف) .. فلما انصرفت سألته في غيظ:

«لا تقل لي إنك تحفظ جدول ضرب 27 .. فلم تطلب ورقة وقلمًا»

قال باسمًا في الضوء الخافت:

«الأمر هو البساطة ذاتها .. عندما تضرب أي عدد ثنائي في 11 اكتف بأن تضع

الرقم الأيمن في خانة الآحاد والرقم الأيسر في خانة المئات .. ثم اجمع الرقمين في

خانة العشرات ... إذن 27x11 معناها أن نضع 7 في خانة الآحاد و2 في خانة

المئات .. ثم مجموعهما 9 في خانة العشرات ... 297 ... جرب أن تضرب 35 في

11 ... استعمل نفس القاعدة تكن النتيجة 385 ...»

جريت هذا عدة مرات ولابد أن الانبهار الأبله بدا على وجهي، فسمعته يضحك

ويقول:

«أنا لم أجر أية عملية حسابية في هذا كله .. فقط أنا أستعمل قواعد محفوظة

لينة وسهلة .. لم أعتبر نفسي عبقرياً قط .. أنا مجرد شخص يعرف كيف

يستحضر المعلومة في الوقت المناسب ...»

ثم تئأب ونظر إلى ساعته المضينة وقال:

«كفانا ذكريات لهذه الأمسية ... أعتقد أن عندك مشكلة أخرى تريد أن تطلب رأيي

فيها .. إذن تعال إلى الداخل ولتخبرني بكل شيء بهدوء ومن البداية ...»

رجل دقيق

«أعرف أنني أبدو جباناً، لكن هذا لا يضايقني البتة .. بل أنا جبان بالفعل .. لكنني أعرف كذلك أنني رجل دقيق لا يفوته شيء ..»

طلبت له كويًا من الليمون عالمًا أن هذا سيزيد الأمور سوءًا .. ليمون الشرطة لا يشعش كأي ليمون في العالم، لكنه يعطي جواً من التوتر وتقلصاً في المعدة كأنه حمض نتريك .. أذكر هذا منذ أيام الماضي عندما كنت أمام المدفع لا خلفه، وكنت أتوتر لدى تعاملتي مع الشرطة في موضوع بطاقة شخصية أو رخصة قيادة .. قلت له:

«نحن معك .. هذا سبب كاف كي تطمئن»

قال متوتراً:

«لكن الأخطاء تحدث .. لن تضعوا شرطياً معي في فراشي .. هناك لحظة ما سوف تغيبون فيها عني وعندئذ ..»

كانت مشكلته هي أن (مختار) خرج من السجن .. ونحن نراقب (مختار) طبعاً لكن لا يوجد شيء ضده ... إنه يتصرف كأني مواطن آخر ..

قلت لـ (مدحت) وأنا أناوله لفافة تبغ:

«لا يمكن أن نسجن (مختار) لأنك تخافه ..»

«الرجل لا يمزح .. هذه هي المشكلة ...»

ولوح بالتقرير الطبي في وجهي .. للمرة العاشرة أرى هذا التقرير اليوم .. يبدو أنه يحاول إصابتي بالخيال ..

كان (مدحت) رجلاً في الخمسين من العمر .. ضئيلاً جاحظ العينين تبرز عروق صدغيه وتبرز أسنانه، مما يعطيه طابعاً خاصاً يذكرك بالقوارض .. اعتدت منذ زمن ألا أكون انطباعات عن شكل الناس، لكن شكله كان منفراً يدفعك لمقته على الفور، خاصة مع صوته الأخنف وذعره الدائم الممل .. (فأر آدمي) .. هذه هي الفكرة التي جالت بذهني واستغفرت الله عليها كثيراً .. لن أندesh لو دخل قط وأبتلع الرجل في أية لحظة ..

لكن (مدحت) كان مواطناً، وكانت عنده مشكلة حقيقية ..

«في العام 1979 كنت أسكن في تلك الشقة المفروشة، وكانت تسكن فوق شقتي

أرملة عجوز ثرية .. وفي ذلك اليوم المشنوم، كنت أعد طعام العشاء وحدي في شقتي عندما سمعت صوت دقات الهاون من الطابق العلوي .. اعتادت الأرملة أن تستدعيني بهذه الطريقة، وكانت لها طلبات عديدة أغلبها تافه .. تريد من يفتح لها أسطوانة الفاز .. تريد من يعلق لها المحبس .. تريد من يضبط لها التلفزيون .. كنت أقوم بهذه الأمور في رضا، لذا عندما سمعت هذه الجلبة هرعته لأبني نداءها ..

«لم أدر ماذا حدث ولا كيف حدث ... فعلى الدرج اصطدمت بـ (مختار) نازلاً من شقتها .. كان ابن أخيها وكان قوي البنية شرساً، ولكنني في هذه المرة لم أنظر لوجهه .. كنت أنظر لتلك المديّة في يده والتي تلوّثت بالدم .. كأنه نومي مغناطيسياً للحظة، ثم صرخت مذعوراً: هل .. هل فعلتها ؟

«هنا أولج نصل المديّة في أسفل صدري .. إصابة سطحية جداً كما قال لي الطبيب فيما بعد .. وسرعان ما كان يثب الدرج نازلاً ..

«برغم كل شيء قلت لنفسني إنني سليم .. سليم .. الإصابة سطحية وهو لم يؤذ شيئاً .. وكان تفكيرى سريعاً جداً ... تحاملت على نفسي إلى أن دخلت شقتي واتصلت برجال الشرطة .. ونسيت كل شيء عن ذلك الجرح ..

«عندما جاءوا رأوا المشهد المعروف الذي لن أصفه لك .. لقد قتلت السيدة في الحمام وكانت تحمل يد الهاون في يدها ترسل لي استغاثة أخيرة ... ليرحمها الله .. لقد قتلها ابن أخيها طمعاً في مالها، وبرغم هذا لم يجد عندها شيئاً

«بعد يوم قصدت طبيباً ليفحص ذلك الجرح فقال إن المديّة مزقت بعض الأنسجة في التجويف الثاني عشر بين الضلوع لكنها لم تمزق شرياناً أو وريداً أو عصباً، وكتب لي هذا التقرير .. وقد رأيت أنه لا داعي لذكر هذه الإصابة التافهة في مجرى التحقيق ..

«ثم القيت على الفتى الذي أنكر كل شيء جملة وتفصيلاً .. كنت أنا الشاهد الوحيد على رؤيته .. فيما عدا هذا لم يجدوا سلاح الجريمة ولا أي شيء ضده .. هكذا يمكنك أن تتصور حقه علي .. لولاي لما اتهمه أحد بأي شيء ...

«برغم كل شيء حوكم وحُكم عليه بالسجن .. وعشت أنا حياة طبيعية أحاول أن أطرده هذه الذكرى الكئيبة من ذهني .. إلى أن جاء الشهر الحالي ..»

قلت له للمرة الألف:

«عندما وجدت الرسالة ...»

قال وهو يرتجف:

«نعم .. رسالة وجدتتها تحت باب بيتي الجديد الذي لا يعرفه أحد .. تقول الرسالة: ..
تحسب أن الزمن يُنسي الأحقاد .. سوف تدفع ثمن الأعوام التي قضيتها في السجن ..
بسبب كلب مثلك ..»

«عندها طار عقلك رعباً ..»

«نعم .. نعم .. الرسالة مخيفة .. لكن اختفائها أكثر بشاعة .. أنا أعرف يقيناً أنني
أخفيتها في مكتبتني .. بالذات في كتاب (وصف مصر) .. بين صفحتي 187 و 188 ..
أقول هذا لأؤكد لك أنني لم أنس شيئاً .. أنا رجل دقيق يا سيدي .. معنى أن أفتح
الكتاب فلا أجد الرسالة أن هذا الرجل يملك الدخول إلى بيتي بسهولة تامة ..»
قلت في غيظ:

«بل هو ساحر كذلك .. أن يعرف أنك أخفيت الورقة في كتاب ويعرف ما هو الكتاب ..
هل أنت متأكد من أن زوجتك لم تكن معك لحظة إخفاء الخطاب ؟»

«أنا غير متزوج .. قلت هذا عشر مرات ..»

«إذن هناك كاميرات مراقبة في غرفة مكتبك»

«لا هذا ولا ذاك .. أقرب الاحتمالات أن الحظ خدمه لأن الكتاب في موضع واضح
مميز من مكتبتني .. على الأرجح كان يتصفح بعض الكتب فوجد تلك الرسالة
بضربة حظ ..»

«ثم جاء موضوع الحريق ..»

ارتجف وشرب جرعة ليمنون هائلة وقال:

«نعم .. نعم ... يبدو أنه فتح شراعة باب شقتي وسكب بعض الكيروسين، ثم ألقي
عود ثقاب مشتعل .. صحوت من نومي لأجد الصالة تحترق .. جريت إلى باب الشقة
ودفعته لأفتحه .. لكنني لم أستطع .. إنه لا يفتح .. يبدو أنه وضع شيئاً ثقيلاً خلفه ..
هكذا جريت إلى الحمام وملأت دلواً من الماء عدة مرات، وسكبته على النار حتى
أطفأتها بالجهود الذاتية ..»

ثم لوح بالورقة وصاح في عصبية:

«هذا الرجل يجب أن يُعقل .. أن يُعدم .. إنه قادر على التواجد في كل مكان وكل
وقت .. في المرة القادمة سوف يفوز برأسي ولنسوف تتقدمون يا حضرة الضابط ..
ستقدمون ...!»

ثم انفجر في البكاء ..

وسقط كوب الليمون على مكتبي ..

قال لي (عصام فتحي) وهو يغلق التلفزيون بجهاز التحكم عن بعد:

«ما زلت أرتجف رعباً كلما رأيت فيلم (كيب فير) .. اللص الذي خرج من السجن
لينتقم من محاميه وأسرته .. وقد اكتسب خبرات مهولة من السجن مما جعله شبه
خارق للطبيعة .. الطريف هنا أنه لم يرد الانتقام من الشرطي الذي اعتقله ولا
القاضي الذي حكم عليه .. كل هؤلاء في رأيه أدوا عملهم على أفضل وجه .. الحمار
الوحيد الذي لم يؤد عمله جيداً هو المحامي ..»

ثم انزلق بمقعده المتحرك إلى خلف مكتبه حيث جهاز الكمبيوتر يهدر بعمليات
حسابية لا تنتهي .. لم أر قط جهاز كمبيوتر منهمكاً في الحسابات لكنها الحقيقة
.. حسابات الأخ (عصام) من الطراز الذي يستغرق ساعة بجهاز الكمبيوتر، ولهذا
بتركه يعمل وينصرف كأنه وضع كعكة في الفرن حتى تنضج !
قال لي باسمًا:

«هذا أفضل من الجيل الأول من الحاسبات الآلية .. كان أول كمبيوتر يدعى
(يونيفاك)، وكان التيار الكهربائي يضعف في نصف مدينة سان فرانسيسكو عندما
يقوم بضرب 6 في 5 !!»

فكرت للحظة في هذا .. لا بد أنه كان يعمل بالجازولين ..

قلت لـ (عصام):

«من الغريب أنني أمر بقضية تذكرني بقصة فيلمك (كيب فير) هذا .. لا توجد أغاز
هنا .. القصة واضحة كالشمس ..»

ثم رحت أحكي له القصة على سبيل التسلية ..

راح يصغي ووجهه يضيء وابتسامته تتسع شيئاً فشيئاً ..

فلما انتهيت قلت له:

«ماذا أفعله مع (مختار) هذا ؟»

ليس بوسعي أن أرسل من يقتله على سبيل الاحتياط ..»

قال وهو يلوك بعض حبات القول السوداني:

«لماذا لا تفعل العكس ؟.. تسجن هذا الوغد (مدحت) ؟»
«أسجن الضحية ؟»

أحياناً يفعلون هذا في الخارج في قضايا المافيا .. قد يكون السجن أكثر الأماكن
أمنًا و...»

قال في إصرار:

«بل تسجنه لأنه كاذب مجرم .. لقد سمعت القصة، ولم أسمع في حياتي كل هذا
القدر من الكذب في قصة واحدة .. ومعنى كل هذا الكذب شيء واحد: هذا الرجل
(مدحت) هو قاتل العجوز وقد ألصق التهمة بيريء .. وبعد خروج (مختار) من
السجن مصممًا على الإيقاع بالقاتل الحقيقي، أصيب الفأر (مدحت) بالذعر، وراح
يحكي لكم سيلاً من الأكاذيب ..

«هناك سبعة ضلوع حقيقية تتصل بعظمة القص، وثلاثة زائفة تتصل بالضلع
العلوي، ثم هناك ضلعان سائبان غير مكتملين .. أي أن لدينا اثني عشر ضلعاً بينها
أحد عشر تجويفاً .. بعبارة أخرى لا يوجد شيء اسمه التجويف الثاني عشر .. هذا
يشبه الكلام عن سمفونية بيتهوفن العاشرة .. التقرير الطبي ملفق وقصة الطعنة
ملفقة، دعك من أنه من غير المنطقي أن يطعنك قاتل في ضلوعك وتنسى الأمر ولا
تذكره للشرطة ... فقط أراد أن يجسم خطورة (مختار) في عينيك .

«صديقك الدقيق أخفى الرسالة في كتاب (وصف مصر) .. بين صفحتي 187
و188 .. جميل .. لكن الصفحتين 187 و188 هما وجهان لورقة واحدة في أي كتاب
ولا يمكن إخفاء شيء بينهما .. كان عليه أن يزعم أنه أخفى الورقة بين صفحتي
188 و189 ..

هذه من أقدم الألغاز البوليسية ..

«ثم صبحا في الليل ليجد أن حريقاً شب في الصلاة .. يحاول دفع باب الشقة فلا
يستطيع لأن الرجل وضع شيئاً خلفه ..

هل رأيت في حياتك باب شقة يفتح للخارج ؟»

كل أبواب الشقق تفتح للداخل ..

«أكاذيب لا نهاية لها...»

أصابتنى الدهشة ورحت أحاول جاهداً تذكر كيف يفتح باب شقتي، فقال (عصام):

«هذا لا علاقة له بالأرقام .. هي مسائل تتعلق بالملاحظة لا أكثر .. يحكي الأديب
الكبير (أنيس منصور) عن المصري الذي قص عليه كيف أساءت السفارة المصرية
في نيوزيلندا معاملته وكيف ضربه سفيرنا هناك بالحداء .. استشاط (أنيس
منصور) غضباً وكتب مقالاً ساخناً عن الحادث .. ثم تذكر قبل أن يرسل المقال
للمطبعة أنه ليست لنا سفارة في (نيوزيلندا) !»
«وهل حقاً ليست لنا سفارة هناك ؟»

«لا أدري !... فقط لم تكن هناك عندما مر (أنيس منصور) بتلك القصة ...»
أصدر الكمبيوتر صوتاً عجيباً كأنه قرر أن يتحول إلى غسالة كهربائية، ثم تجمدت
الشاشة ..

صاح (عصام) في أسى:

«انهار النظام !...»

لم يتحمل كل هذه العمليات الحسابية المعقدة !.. سوف أبدأ من جديد !..»
وأغلق الجهاز في عصبية وقال لي:

«أنا في حالة نفسية سيئة .. اتركني الآن .. فقط إعمل على أن تكشف لهذا الـ
(مدحت) أنه كذاب في كل حرف قاله .. اضغط عليه وأنا متأكد من أنه يكذب لسبب
واحد .. انه هو قاتل تلك العجوز عام 1979 وقد ألصق التهمة بقريب العجوز
الوحيد الذي يعرفه .. الذعر لا يبرر كل هذا الحماس الذي يتصرف به .. فقط
اتركني الآن واخبرني بما يستجد».

الشهر العاشر

فرغ

عصام من التهام طعام الغداء ..

كما هي العادة توشك الأنماط البشرية أن تكون واحدة .. نمط (عصام) مثلاً لا بد أن تكون وجبته خفيفة وألا يمثل له الطعام تلك الأهمية التي نعلقها نحن .. لقد راقبته اليوم وهو يأكل، وأقسم لك أنه لم يأكل سوى نصف ثمرة طماطم ونصف شريحة لحم .. كوب ماء .. ثم انتهى كل شيء ..

ورأيته يخرج على مقعده إلى الشرفة ليراقب البحر ...

كنا في فصل الشتاء .. اغرب وقت ممكن للذهاب إلى الاسكندرية، لكن إجازتنا توافقتنا معاً، وبدأ لي أن سحر اسكندرية الشتاء سوف يتسببنا هذا البرد ... بالطبع كانت هذه الشقة المطلة على البحر رخيصة الثمن للغاية ..

كنت مخطئاً .. فقد تجمدنا بالفعل .. وكان علينا أن نتدثر بعشرات البطاطين طيلة الليل .. كنا قد اخترنا غرفة للنساء: زوجتي و(عفاف) .. وغرفة للأطفال .. أما أنا وهو فقد تقاسمنا غرفة واحدة تصطك فيها أسناننا بلا توقف ..

قالت لي زوجتي عندما انفردت بها في الشرفة ذات يوم:

«كانت فكرة حمقاء فعلاً...»

«آسف .. أعرف هذا .. لكنها إجازة (عصام) التي توافقت مع»

قالت في غيظ:

«وهذه نقطة أخرى .. هل لابد أن تربط حياتنا ونشاطنا البشري بصديقك هذا؟ .. هو رجل طيب ولا غبار عليه، لكنني أمقت أن يكون معنا في كل مكان كأنه من بقية الأسرة .. ثم لماذا لا يتزوج هذه الفتاة (عفاف)؟ .. إنها تقوم له بكل ما تقوم به الزوجة عدا الإنجاب .. لماذا لا يصير الأمر رسمياً؟ .. وما دام صار قدرنا فلماذا يجب أن تكون هي كذلك قدرنا؟»

كنت أتوقع هذه المواجهة وأخشاها منذ زمن، لذا قلت لها وأنا اضغط على أسناني: «(عصام) لا يستطيع عمل أي شيء بنفسه .. إنه مشلول .. مش .. له ... و... كم من مرة يجب أن أقول هذا؟ .. أنا لن أتخلي عنه .. لم أفعل هذا منذ سني المدرسة، فكيف أفعل اليوم؟ .. أما عن موضوع (عفاف) فالفتاة مهيبة ومحترمة، لكن (عصام) لا يملك أن يتزوج وينجب .. أنت تعرفين هذا جيداً ..»

«ليس له أقارب؟»

«هذه هي المشكلة .. له أقارب فرضتهم الظروف عليه .. القرابة لا تحل محل الحب أبداً .. والواجب لا يحل محل العاطفة .. إن الصداقة تأتي من تلقاء نفسها بلا إرغام، أما أقاربه فيفعلون الشيء وهم متضررون، ويتمنون لو لم يكونوا أقاربه .. أنا أقدم له الشيء فخوراً وأشعر أنني قدمته لنفسه .. ألم تكن لك صديقة تشعرين بأنها أقرب لك من أختك؟ .. حتى الأخوة الذين يتمتعون بعلاقات قوية، تجدنيهم أقرب إلى الأصدقاء ..»

ضربت سور الشرفة بقبضتها وهتفت:

«لكنني أتمنى لو تخلصت منه (..) لو تخلصت منهما! ..»

هنا شعرت بحركة خلف ظهري فاستدريت لأرى ذلك المقعد المتحرك يبتعد .. لقد سمع آخر كلامنا أو لعله سمعه كله (.. نظرت لها نظرة من طراز (منك لله يا شيخخة) .. وهرعت لألحق به ..

وجدته أمام خزانة الثياب المفتوحة يضع ثيابه بعصبية في حقيبته المفتوحة على الفراش .. كانت هناك ثياب أعلى من قدرته على الوصول لها فصاح منادياً (عفاف) ..

جاءت (عفاف) مذعورة فهتف بها والأوردة محتقنة على صدغيه وجدور عنقه:

«أعدي حقيبتي بسرعة يا (عفاف) .. نحن راحلان ...»

سألته في غباء:

«كيف تقوي أن تفعل ذلك؟ .. إنني ...»

«سوف أتصرف .. ستجد (عفاف) سيارة أجرة نقلنا إلى القاهرة ..»

طلبت من (عفاف) أن تتركنا بعض الوقت، ثم أغلقت الباب وقلت له:

«أنت أنضج من أن تتصرف كالصبية .. كذا يفعل الأطفال الغاضبون .. لو كنت

سمعت المحادثة جيداً لفهمت .. رحيلك الآن يعني أنني لن أسامح (غادة) أبداً .. ولن أسامح نفسي»

قال وهو يحدق في الجدار:

«لا علاقة لك بالأمر .. فقط صاحبة البيت تجدني عبثاً وضيافاً ثقيلاً...»

«وأنا صاحب البيت، وأقسم بالله العظيم أنك لن ترحل هكذا .. معنى رحيلك هو

مشكلة تحل ببيتنا الصغير .. شرح أبدي بيني و(غادة)»

فكر في الأمر حيناً .. كان يعرف أنني صادق .. صداقتنا تجاوزت مرحلة الشرح

جلس أمام خزانة الثياب المفتوحة يرمقها .. وراح يحرك المقعد أمامًا وخلفًا شأن من يفكر في شأن مهم .. فكرت أن أنادي (غادة) لتعتذر له .. لكن (غادة) مثل النساء جميعًا لا ترتكب الأخطاء، وبالتالي لا تعتذر أبدًا .. تمتاز نساؤنا بأنهن معصومات لا يخطئن أبدًا .. يقال إن بعض النسوة في الغرب يخطئن أحيانًا لكني لا أصدق هذا .. قلت له لأمعنه من معاودة الكرة:

«هناك مشكلة مهمة تحيرني .. صدقني .. كنت أنوي أن أطلب رأيك لكنك لم تعطني الفرصة .. أنت تتخلي عني في أسوأ وقت ممكن ...»
نظر لي متسائلًا فقلت بارتباك:

«الامر يتعلق بقضية .. أنت تفهم هذه الأمور .. هناك دومًا مشاكل الأرقام التي أعجز عن حلها و...»

قال في نضاد صبر:

«مفهوم .. مفهوم .. هات ما عندك»

قلت وأنا أراجع ورقة أخرجتها من جيبي:

«سأعفيك من التفاصيل .. هناك عصابة .. وهذه العصابة خطيرة جدًا .. أعني أنهم ليسوا من الحمقى الذين يسرقون الفسيل من على أسطح البيوت .. لدينا مرشد معهم، لكنهم بصراحة يشكون فيه ولا يتعاملون أمامه بوضوح .. لو تأكدوا من أنه مدسوس عليهم لتخلصوا منه فورًا ... لقد وجد هذه الورقة في وكرهم وهي تحدد التاريخ الذي قرروه لعملية سطو كبرى .. سوف نقبض عليهم متلبسين فقط لو فهمنا ما تحتويه هذه الورقة ...»

ثم قرأت بصوت عال ما كتب:

«الشهر العاشر .. ليلة عيد الميلاد .. العاشرة مساء»

«أي عيد ميلاد؟»

قلت في صبر:

«عندما نتكلم عن عيد الميلاد بلا تعميم فنحن نتحدث عن ميلاد المسيح على الأرجح .. نحن في آخر نوفمبر لهذا من المحتمل أن السرقة قريبة .. لكن هنا يبرز سؤال عويص هو : ما هذا الشهر العاشر ؟ ... ثم لو كنا نتكلم عن ميلاد المسيح فهل نعتبره في ديسمبر أم يناير ؟ .. إن الأمر مختلط علي ؟ ...»

فكر حينًا ثم سألني:

«ما معنى كلمة ديسمبر ؟»

«لا أعرف»

«معناها (العاشر) .. هذا هو الشهر العاشر ...»

«يا سلام .. ؟ .. ولماذا ليس الثاني عشر كما تعرف جميعًا ؟»

«كان الرومان - الذين وضعوا هذا التقويم - يعتبرون السنة تبدأ من مارس .. لهذا

كان ديسمبر هو الشهر العاشر .. كانت السنة تبدأ بشهر مارس (على اسم إله الحرب) ثم إبريل (أي تفتح الأرض Aperire) ثم مايو (على اسم الآلهة Maia) ثم يونيو (أي الاتحاد) ثم كوينتيليوس (أي الخامس) ثم سكستس (السادس) ثم سبتمبر (أي السابع) ثم أكتوبر (الثامن) ثم نوفمبر (التاسع) ثم ديسمبر (العاشر)، ثم أضاف الملك (نوما بومبيليوس) شهرى يناير (على اسم الإله Janus) وفبراير Februa (شهر التطهير) وبذلك أصبح طول السنة الرومانية 12 شهرًا (365 يومًا) ..»

ثم قال وقد عادت عيناه تلمعان:

«هذه العصابة تتعامل بطريقة الشريرة، وهم يعرفون ما يفعلون فعلاً»

عدت أسأله:

«وهل ولد المسيح في يناير أم ديسمبر ؟ ... أقباط مصر يحتفلون في السابع من يناير بينما الغربيون يحتفلون في الخامس والعشرين من ديسمبر ...»

«كلاهما على حق ... العبرة هي يوم 29 كيهك بالتقويم القبطي، الذي وافق 25 ديسمبر، وذلك في مجمع نيقية عام 325 م حيث يكون عيد ميلاد المسيح في أطول ليلة وأقصر نهار (فلكيًا) ، وقد كان هناك خلل معين في هذا التاريخ جعله يتأخر عشرة أيام عن (أطول ليلة وأقصر نهار)، مما اضطر البابا (جريجوريوس) إلى حذف عشرة أيام من التقويم الميلادي .. أي أن يوم 5 أكتوبر صار 15 أكتوبر .. ووضع البابا غريغوريوس قاعدة تضمن وقوع عيد الميلاد (25 ديسمبر) في موقعه الفلكي (أطول ليلة و أقصر نهار) وذلك بحذف ثلاثة أيام كل 400 سنة، ولكن لم يعمل بهذا التعديل في مصر إلا بعد دخول الإنجليز إليها فأصبح 11 أغسطس هو 24 أغسطس»

قلت في دهشة:

«هل تعني أن مصر شهدت يومًا تحول من 11 أغسطس إلى 24 أغسطس ؟»

«نعم .. فى أوائل القرن العشرين.. وفى تلك السنة أصبح 29 كيهك (عيد الميلاد) يوافق يوم 7 يناير (بدلاً من 25 ديسمبر كما كان قبل دخول الإنجليز إلى مصر) .. لهذا صار السابع من يناير هو يوم ميلاد المسيح»

ثم فى النهاية قال لي باسمًا:

«الخلاصة .. هؤلاء اللصوص سيسطون على هدفهم يوم 25 ديسمبر الساعة العاشرة مساءً»

قلت فى حماس وأنا أدون أشياء فى الورقة:

«أنت رائع .. إن الحياة من دونك مستحيلة ...»

نظر لي طويلاً ثم ابتسم وقال:

«لاحظ أنك عرفت الموعد ولم تعرف هدفهم .. عرفت (متى) ولم تعرف (أين) ؟ .. ألا يبدو هذا غريباً ؟»

قلت وأنا أعيد حاجياته إلى أرفف الخزنة:

«لدينا مصدرنا .. هو من سيحدد لنا (أين) و(كيف) ... المهم أنك جعلتني أعرف (متى) ...»

وخرجت من الغرفة فاتجهت إلى المطبخ لأقف جوار زوجتي التي كانت تغسل الأطباق ساهمة واجمة، وعلى استعداد تام للشجار إذا فتحت فمي ..

فتحت علبة القمامة وبدأت تمزيق الورقة التي فى يدي، فسألتني:

«ما هذه ؟»

قلت وأنا ابتعد:

«قائمة الأشياء التي طلبت مني شراءها .. لقد اشتريت كل شيء فلم تعد لها قيمة» الحقيقة أن الورقة لم تكن تحوي فعلاً إلا قائمة مشتريات .. أما كل القصة التي حكيتها لـ (عصام) فلم تكن إلا ملفقة .. قمت بتأليفها وحي الخاطر، وكان كل همي أن أشغل عقله الجبار عن الغضب ..

أن أضع طوفان انفعاله فى قناة غير ترك البيت ..

يبدو أنني نجحت ...

كنت قد قرأت صباح ذلك اليوم كتاباً لأحد الرهبان المصريين يحكي فيه قصة التقويم .. وهذا ما جعل السؤال يطمو إلى ذهني، ولا داعي أن أقول لك إن كل ما قاله (عصام) كان دقيقاً كأن الكتاب مفتوح أمامه ..

بعد ثلاثة أيام كنت أمشي بـ (عصام) فى منطقة مشمسة من المنتزه، عندما قال لي:

«على فكرة .. أدركت على الفور أن قصة العصابة التي تنوي سرقة شيء ما فى الشهر العاشر ملفقة ..»

نظرت له فى حيرة متظاهراً بالبراءة، فقال فى خبث:

«لو كانت المشكلة تؤرقك فعلاً، فلماذا لم تفتح الموضوع لمدة أسبوع كامل ؟ ... لقد وجدت ذلك الكتاب على المنضدة .. الكتاب الذي يشرح ميلاد التقويم .. ثم وجدتك تطرح علي هذه المشكلة فعرفت على الفور أنها ملفقة ...»

«ولماذا أجبت عن أسئلة ملفقة ؟»

«ولماذا سألت أنت ؟ ...»

كلانا مولع بصديقه لا يقدر على الاستغناء عنه .. فقط أرجو ألا تخبر زوجتك بأنني قلت هذا ...»

ثم ضم يافته على صدره واصطكت أسنانه:

«بيتي وبينك .. كانت فكرة المجيء إلى الاسكندرية فى نوفمبر غبية جداً ... غبية جداً جداً ...»

كنا نرتجف، لكننا نضحك من أعماق قلوبنا ...

**ضعيف غير
مرغوب فيه**

ذكرياتي

مع (عصام) صديقي العبقري توشك على أن تكون سلسلة من نجاحاته وسلسلة من دهشتي وذهولي ..

لكني برغم هذا أحتفظ ببعض الذكريات عن مرات فشل فيها، وهي ليست بالمرات القليلة .. إنه بشر بعد كل شيء .. لكن مرات فشله كانت مبررة دائماً وفي كل مرة كان هناك سبب ما ..

مثلاً قصة (مولر) الألماني الذي جاء إلى مصر والذي كلفت بمراقبته كانت تحمل الفشل لـ (عصام) ...

(مولر) لص متاحف محترف .. هذا ما يعرفه الجميع ويعرفه رجال الإنتربول، وقد أرسلوا لنا ملفاً مكتئزاً أتعبنا في قراءته .. لكنه عندما جاء إلى مصر لم يكن هناك شيء يمكن أن نتهمة به .. من الصعب أن تمنعه من دخول البلاد ..

هكذا كلفت بمراقبته، والحق أنها كانت مهمة عسيرة لهذا زحمت أدعو الله أن تأتي اللحظة المناسبة التي يترك فيها البلاد لينتهي هذا الكابوس ..

في هذا الوقت استطعت أن أعرف عنه ما هو أكثر ..

إنه شخصية فريدة خرجت فعلاً من عوالم قصص (جيمس بوند) .. هؤلاء الأشرار الذين يضعون تلك القصص بوسامتهم وهدوء أعصابهم ..

في الأربعين هو .. ثري جداً .. يقيم في واحد من أفخم فنادق القاهرة وأغلاها سعراً .. معه حسناء سينمائية يقول إنها (صديقتة) .. وهو يصرف مبالغ فادحة في الفندق

وفي الملامهي الليلية التي يرتادها .. أنيق جداً ... بارد الأعصاب جداً ..

لكننا راقبناه كأنه ميكروب تحت المجهر ... كان من الصعب أن يتقارب أو يتكلم من دون أن أقرأ هذا في تقرير على مكتبي خلال ساعة ..

التقارير تقول إنه زار متحف (محمد محمود خليل) عدة مرات .. لم يفعل أي شيء سوى الوقوف ساعات أمام اللوحات الثمينة التي رسمتها فرشة (فان جوخ) و(ديجا)

و(مانيه) ... يبدو أنه منبهر جداً .. لكنه لم يفعل أي شيء على الإطلاق .. لو حسبت أنه سيخرج مطواة ويمزق لوحة ويلفها في جيبه فأنت مخطئ ... لكنني أدركت أن

هناك كتكوئاً ينقر البيضة في ذهنه .. إنه ينوي شيئاً ما .. هذا واضح ... وهذا الشيء يتعلق بمتحف (محمد محمود خليل) بما فيه من تحف لا تقدر بمال ...

على قدر علمي لا يمكنه أن يفعل أي شيء ... لو فعل لأعلنت انهاري بهذا ...

على أنني قابلته في إحدى الحفلات في فندق في وسط القاهرة ..

برغم أنني أعرف كل شيء عنه فقد شعرت بفضول غريب وأنا أراه عن كثب .. كان يتكلم الألمانية مع بعض الألمان المحيطين به ويقرعون الكئوس، فتذكرت أنه كان يجب

أن أجيد الألمانية لأكون هنا .. يقف بستره بيضاء و(بابيون) كأنه العميل (007) فعلاً والحقيقة أن ملامحه قريبة من (روجر مور) إلى حد ما ..

رأيت أحد الأجانب يقترب منه فيدس هو في يده قصاصة ورق، تأملها الرجل بعناية ثم دسها في جيبه .. ورأيت بعض القلق .. القليل منه جداً على تقاطيع وجه (مولر)،

ثم استعاد حيويته وراح يمزح مع الشقراء الواقفة جواره ...

كنت قد رتبت كل شيء .. صديقي (فهمي) تأبط ذراعي واتجه إلى الرجل ليقول له بضع كلمات بالألمانية .. هي كما اتفقنا:

«هر (إيرليش) .. هذا هو صديقي (محمود) ... رجل الأعمال المصري .. إن لديه

مجموعة لوحات نادرة يرغب في بيعها .. هو لا يفهم الألمانية بالمناسبة»

نظر لي (مولر) باهتمام وضاقت عيناه ثم قال بالإنجليزية:

«حقاً؟»

قلت له بالإنجليزية:

«قمت بجمع هذه اللوحات ثم وجدت أنني أفضل المال أكثر من الفن ...»

وضحكت فابتسم مشجعاً .. وعاد يسألني:

«هل هي لوحات معاصرة أم كلاسيكية؟»

«شيء من هذا وذاك .. لا أفهم في الفن .. فقط قيل لي إنه استثمار ممتاز»

نظر لي في إمعان .. كنت ألعب دور رجل الأعمال الشري الجاهل ببراعة .. أعتقد أنه

ابتلع الطعم بسهولة .. سوف يوطد علاقته بي ..

قلت له:

«سمعت أنك مهتم بالفنون ...»

هز رأسه أن نعم .. ثم استدأ إلى الشقراء الواقفة جواره وقال وهو يشير لي:

«أقدم لك ضيفنا المصري .. إنه يملك مجموعة ممتازة من اللوحات ... لكنني بصراحة

لم أر من يعرض لوحاته في الحفلات بهذه البساطة .. لو كان هذا حقيقياً فالحياة

رائعة ...»

قلت على الفور:

«لكنني بالفعل لا أعرف مشترياً سواك ...»

قال باسمًا وهو يرفع كأسه في وجهي:

«بالتأكيد لديكم في الوزارة من يفعل ...!»

«أية وزارة؟»

ابتسم ابتسامة ذات معنى وقال:

«وزارة رجال الأعمال ... لو كانت عنديكم واحدة!»

ثم استدار ليواصل الكلام مع ضيوفه وأعطاني ظهره ..

شعرت بأن وجهي يشتعل خجلاً.. لم أقل له إنني سأانسحب، لكنني استدرت مبتعداً

.. طبعاً كان يتحدث عن وزارة الداخلية لأن الحيلة لم تنطل عليه قط ... هو يعرف

أنه مراقب وأن هناك رجال شرطة في كل مكان، لكنني لم أتصور أن أنكشف بهذه

البساطة ..

اتجهت إلى الحمام وأغلقت الباب علي، ثم قلت لـ (فهمي) عبر جهاز الهاتف

المحمول:

«هل رأيت ذلك الرجل الذي أخذ قصاصة الورق من مولر؟» أريد هذه القصاصة ...»

لا يهمني ما ستفعله يا (فهمي) .. أرسل نشالاً خلفه .. أقبض عليه وفتشه .. افتعل

له حادثاً .. المهم أن أجد هذه القصاصة معي خلال ساعة!»

كنت غاضباً بالفعل ولا أشك في أنك تفهمني ..

هكذا وجدت القصاصة معي بعد بضع ساعات من هذا ..

ولم تكن مفيدة جداً

جلس (عصام فتحي) صديقي العبقري وراء شاشة الكمبيوتر يتأمل تلك القصاصة

الصغيرة .. قال لي ضاحكاً كاشفاً عن أسنانه الكبيرة:

«شفرة أخرى؟ ... يبدو لي أنك تعمل في إدارة شفرات ...»

قلت له في غيظ:

«المسألة شخصية هذه المرة .. فالرجل جعلني أبذو أحملق ... أريد فهم ما تحتويه

هذه الورقة ... لا يبدو أنهم سيجدون لها حلاً عندنا ..»

نظر إلى الورقة في تفكير ثم قال:

«تبدو صعبة فعلاً... من الممكن أن يكون المفتاح أي شيء ...»

ثم راح يقرأ بصوت عال:

« cxfid ffagf dfgag ffacg caafa gcdag cacg f fgf df dfafa

gcaga axgacg»

ثم حك رأسه وقال:

«مجموعات من خمسة أحرف .. هناك تكرار واضح لحروف a d f G c X ..

لا يبدو أنه يستعمل حروفاً أخرى ...»

راح يكتب برنامجاً صغيراً بلغة Basic على الكمبيوتر ..

وقال لي وهو يكتب السطور:

«لغة Basic سهلة ومتاحة للجميع ..

لهذا أطلق عليها مخترعوها (لغة المبتدئين الرمزية الصالحة لكل الأغراض

(Beginner's all purpose symbolic instruction Code)

الحروف الأولى تشكل لفظة BASIC»

وفجأة توقف عن الكتابة وهتف:

«تذكرت ...»

هناك شفرة مماثلة كان الألمان يستعملونها في الحرب العالمية الأولى ..

اسمها شفرة (زيمرمان) ... التي تطورت على يد (فريتز نيبيل) لتصير شفرة

ADFGX ..

تأمل هذا الجدول»

ورسم على رقعة من الورق جدولاً كالذي تراه أمامك:

	A	D	F	G	C
A	i	r	m	e	
D	t	f	v	w	
F	z	s	a	u	
G	n	x	g	j	
X	d	p	o	q	

قال لي مفسراً:

«الجدول لا يستعمل سوى ستة أحرف في المحور الرأسي والأفقي ...

لو نظرت إلى حرف A في الجدول لوجدته يقابل F على المحور الأفقي و F على

المحور الرأسي .. لهذا فإن الشفرة ترمز لحرف A بالحرفين FI ... مثلاً B تقابل حرفي A و X .. لهذا ترمز للحرف B ب AX .. وهكذا ..

بعد هذا أدخلوا تطويراً يقضي بكتابة الحروف في مجموعات من خمسة حروف لتزداد العملية تعقيداً .. فقط الجاسوس يعرف متى تنتهي الكلمة ومتى تبدأ ... قلت له:

«يبدو الأمر سهلاً...»

«هل تحسب ذلك ؟» لقد فشلت المخابرات البريطانية والفرنسية في فك هذه الشفرة .. لم يفهموا الأمر إلا بمراقبة القوات الألمانية والاتصالات والتموين .. الخ .. إن تاريخ الحرب العالمية الأولى يحوي نماذج عديدة للشفرات .. ربما أكثر من الحرب العالمية الثانية .. من الشفرات العجيبة التي استعملها الأمريكيان لخداع اليابانيين استعمل لغة هنود (النافاهو) الذين كانوا يطلقون عليهم (التكلمون بالريح) .. وقد عجز اليابانيون تماماً عن فهم هذه الشفرة ..

ثم إنه راح يلقم الكمبيوتر بطريقة قراءة الشفرة .. وضغط على بعض المفاتيح فظهرت عبارة تقول:

- «Dasmu seumn ichth inaus schie ben»

نظر لي في حيرة .. ثم غمغم:

«ما معنى هذا ؟»

هزّزت كتفي وقلت:

«كنت آمل أن تخبرني أنت ..»

راح يتأمل الشاشة .. ثم قال وهو يحك رأسه:

«فعلاً .. لا أفهم .. يبدو أنها ليست الشفرة التي كنت أحسبها ...»

هكذا شاعراً بخيبة الأمل أعلنت أنني سأعود لداري .. فلم يعد من شيء أستطيع عمله الليلة ..

أحياناً يفشل (عصام)، لكن مشكلة فشله هي أنه يتركك عاجزاً تماماً ..

على أنني تلقيت مكالمة هاتفية منه في العاشرة صباحاً .. كان يضحك حتى أنه

كان يتكلم بكثير من العسر:

«أنت لم تخبرني أن لصك هذا ألماني ؟»

قلت في حيرة:

«نعم .. لم أقل هذا ...»

«كان عليك أن تخبرني .. لهذا استعمل هذه الشفرة الألمانية .. ولهذا كانت العبارة

باللغة الألمانية ..»

لقد كانت الرسالة تقول: «Das Museum nicht hinausschieben» ...

ومعناها ؟

«لقد سألت صديقاً لي يعرف الألمانية .. كان هذا صعباً بسبب تقسيم الحروف إلى

مجموعات خماسية لكنه استطاع فهم العبارة .. إنها تقول (المتحف ليس آمناً) ...

هذا ما أبلغه لصك لمعاونه في هذه القصاصة .. لم يرد أن يتكلم خشية أن تكونوا

تسجلون كل شيء .. أعتقد أنكم لو بحثتم لوجدتم الكثير من التعليمات المكتوبة

بالشفرة ذاتها .. سوف تقبضون على الرجل أو على الأقل تمنعونه من ارتكاب جريمة

ما ..»

شكرته بحرارة .. ثم وضعت السماعة وأخذت شهيقاً عميقاً ... نحن نقرب أيها الهر

(مولر) .. نقرب جداً

بعد دقيقة طلبت رقمًا آخر ...

**خدمة لمدام
إيفون**

يعيش (عصام) كما تعرفون جميعاً وحيداً في تلك الشقة بحي (المنيل) بالقاهرة .. شقة ليست فاخرة جداً ولا متواضعة ..

إنها وسط في كل شيء لكنها - كما لك أن تتوقع - آية في النظام والنظافة .. لا بد من النظام المحكم مع شخص قعيد وإلا لاقى الأمرين في العثور على ما يريد .. لا يؤنس وحدته إنسان إلا (عفاف) التي هي خليط من المدبرة والطباخة والمرضة والصديق العزيز، لكن الليل يدنو فتجمع حاجياتها وتتأكد أنه لا يريد شيئاً وأن كل شيء موجود قريب من متناوله ثم ترحل ..

هكذا يقضي ساعات الوحدة الثقيلة التالية في القراءة ومشاهدة التلفزيون والاتصال بأصدقائه، أو يجلس في مكتبه أمام شاشة الكمبيوتر يراجع بعض المعادلات والأرقام ..

ينام في الثانية بعد منتصف الليل، ويصحو في السابعة - لا تسألني كيف - مع مجيء (عفاف) لتعد له الإفطار ويبدأ يوم جديد ...

عندما يكون مرتبطاً بالكلية يصل (عباس) السائق في التاسعة ليحركه على مقعده إلى المصعد، فالسيارة فالكلية، ويلازمه طيلة اليوم حتى يعود به إلى داره ... أما عندما لا يكون مرتبطاً بعمل فإنه يخرج بالمقعد إلى الشرفة ويراقب سير الحياة الصاخب متأملاً...

يعيش (عصام) حياة خالية من البهجة، لكنه بذكائه الخارق استطاع أن يحول الأرقام إلى نوع راق من التسلية ..

هو ليس وحده أبداً ..

إنه هنالك مع (فيتاغورس) و(نيوتن) و(الخوارزمي) و(جاوس) في جنة الأرقام حيث تتدلى أرقام السبعة والتسعة من الأشجار الوارفة ..

كل ما يمت للأرقام بصلة قد جال بعقله يوماً ما، وقد خلق لنفسه أعقد العضلات كي يتمكن من حلها ..

لقد تصورت أنه لا يفقه شيئاً في الطب، لكنني تبينت أنه يعرف جيداً ذلك الجزء من الطب المرتبط بالأرقام، وكانت لهذا قصة غريبة ..

جاءته (عفاف) في العاشرة صباح ذلك اليوم لتخبره أن هناك الكثير من الضوضاء في الشقة التي تقع أسفل شقته ..

«يبدو أن مدام (إيفون) قد توفيت ..»

وترقق الدمع في عينيها .. هي لا تعرف الكثير عن مدام (إيفون)، لكنها تشعر بأن كل إنسان حي قريب لها ..

(عصام) كان يعرف مدام (إيفون) الأرملة التي تسكن تحت شقته .. أرملة هي ..

وحيدة بعد ما رحل الأبناء إلى الخارج ..

مسنة إلى درجة لا تصدق .. لها ضحكة لطيفة وعينان مكرتان كعيني الأطفال،

فيما عدا هذا هي سقيمة على الدوام، وفي العام الأخير صارت قعيدة الفراش لأنها أصيبت بالفالج ..

لا أحد يبقها حية إلا امرأة في الخمسين تدعى (عايدة) هي كذلك مزيج من مربية وممرضة ..

كان يهتم بشدة بهؤلاء العاجزين الذي يعنى بهم شخص ما، خاصة وأنه يرى نفسه في تلك الأرملة وإن لم يعترف لي بهذا، لهذا أدماه موتها بشدة، برغم أن كل إنسان يعرف أنهم سيجدونها ميتة ذات يوم ...

هل الإنسان يعيش إلى الأبد ؟

إن لم تمت هذه العجوز المريضة فمن يموت إذن ؟

لكنه أصبر على أن تقوده (عفاف) إلى المصعد وهبط الطابق الذي يفصله عن شقة العجوز ..

هناك كان الباب مفتوحاً ..

يقف اثنان من رجال الإسعاف وطبيب شاب مرتبك والبواب وجار أو جاران ..

كان التجهم على الوجوه ..

لا وقت للأسئلة، وعلى كل حال بدا أن كل إنسان في الشقة يريد انتهاء الأمر سريعاً حتى لا يقع على عاتقه وحده ..

لا أقارب ..

معنى هذا أن على الجيران القيام بكل شيء ..

(عايدة) المريضة البدينة تقف محمرة الأنف ممسكة بمنديل ورقي .. وهي تنهذه بلا انقطاع، فاحتضنتها (عفاف) مهدئة ..

قالت (عايدة) بين الدموع:

«لقد قضيت معها الليل وكانت في خير حال .. في السادسة صباحًا قالت إنها تشعر بإرهاق ..

جلبت لها الدواء والإفطار ..

ثم دخلت المطبخ، فلما عدت وجدت أنها قد ماتت ..»

نظر (عصام) لساعته ثم قال في شيء من جفاف:

«أي أنها ماتت حوالي الساعة ..

ألم تفعل شيئا حتى العاشرة ؟»

«لقد كنت في حال غير طبيعية ..

لم أدر ما أفعل .. رحمها الله ..

ثم انفجرت في البكاء ..

همست (عفاف) في أذنه أن المرأة مرهقة خائفة، وعليه ألا يواجه أسئلة ..

إنها تعيش مع العجز بشكل مستمر وما حدث قد أفزعها بحق ..

قالت (عايدة):

«لم أتركها لحظة ..

لا شك أنها راضية عني ..

لقد فعلت كل ما يجب نحوها ..»

لم يحب (عصام) نغمة الدفاع عن النفس المستمرة هذه ..

لم يتهمك أحد بشيء .. هذه النغمة التي لا يكف المهملون عن ترديدها عندما

يدركون أنهم مهملون ..

دخل الطبيب الشاب إلى غرفة المتوفاة وتفحص الجثة بسرعة ..

من خلفه دنا (عصام) بمقعده المتحرك ليقف على باب الغرفة ..

فوق الفراش هناك صورة عملاقة للعداء ووليدها ..

هناك عدة أيقونات ..

الفراش مرفوع عند الرأس ليأخذ شكل المقعد ..

هناك مقعد متحرك من الطراز الذي يصلح لتثبيت مبلولة ..

فوضى عامة وأغطية ملقاة في كل مكان .. رزم من الخطابات من كندا غالبًا من ابنائها ..

في هذا الوقت كان الطبيب يتفحص الجثة .. يشي العنق .. يفرد ..

برغم أن هذا غير لائق فإن (عصام) مد رأسه من وراء ظهر الطبيب ليلقي نظرة

فضولية على وجه المتوفاة العجوز ..

مد الطبيب يده وأزاح الرداء عن بطنها، ليكشف عن جلد يشبه الرخام الأخضر فوق

أربها الأيمن، فأشاح عصام بوجهه حياءً وتراجع ..

كانت الإجابة جاهزة على كل حال .. هناك ألف علية دواء على الكومود وهناك

مظروف سمين مضغوط بوصفات الدواء السابقة .. تقارير أشعة .. تخطيط قلب .. لو

قلت إن هذا الموت مفاجئ لكنت مبالغًا ..

قال الطبيب للمسعفين:

«يمكنكما أن تتقلاها .. لا توجد مشاكل ..

إنها مريضة جدًا وكان لا بد لهذا أن يحدث ..»

ثم أسدل الملاءة على وجه العجوز اللطيفة التي لن تضحك ثانية ..

خرج (عصام) على مقعده المتحرك من الغرفة، وقاده إلى حيث وقف البواب فسأله:

«هل كنت موجودًا صباح اليوم ؟»

نظر له البواب في شك ثم قال:

«لا .. أنت تعرف يا دكتور إنتي آخذ الأولاد للمدرسة .. لا أكون هنا إلا في التاسعة ..»

هنا دار (عصام) بمقعده ليواجه الطبيب والمسعفين .. وينظر إلى (عايدة) في حدة ..

ثم قال ضاغطًا على كلماته:

«أما أنت فأنتي آتتهك بالإهمال الجسيم، وسف أحرر محضرًا لك في النيابة ..!!»

نظر الجميع له في دهشة، فقال:

«أعتقد أن السيدة (عايدة) لم تكن هنا منذ ثلاثة أيام على الأقل .. تركت هذه العجوز

البائسة وحدها .. من يدري ؟.. ربما ماتت جوعًا أو ظمًا .. واليوم فقط جاءت

(عايدة) هانم من الخارج .. لم يرها البواب لأنه لم يكن موجودًا .. فقط فتحت الشقة

لتجد أن مريضتها ميتة .. ميتة منذ أيام ..

هكذا أخرجت منديلها وملأت الدنيا صراخًا وبكاء وراحت تحكي كيف أنها بإسلة

ظلت جوار الفتيدة حتى اللحظة الأخيرة !»

قال الطبيب في ضيق:

«عم تتكلم ؟.. هذه السيدة توفيت اليوم ...»

«هذا ما تقوله المريضة وأنت صدقته .. صدقته لأن المرء لا يتصور أن يموت المريض

بسبب آخر غير المرض ... كأنه من غير الوارد أن يموت مريض القلب برصاصة

أو يموت مريض الكبد بالكهرباء .. صدقته لأنك ألقيت نظرة عاجلة روتينية على

المتوفاة، وكل ما يهملك أن تملأ الأوراق وألا تقع عليك مسئولية قانونية، بينما أنا الذي

لا أعرف شيئاً في الطب أمكنني أن أحدد ساعة الوفاة ...»

ثم أخذ شهيقاً عميقاً وهتف:

«الوفاة حدثت في وقت ما بين 24 ساعة و48 ساعة ..!»

قال الطبيب في غيظ:

«هل الأستاذ طبيب شرعي ؟.. ما كل هذه الدقة ؟»

قال (عصام) وقد أرهقه كل هذا الجهد:

«لا .. لكنني أعشق الأرقام واستخدمها بكفاءة ..»

لقد قرأت الكثير .. هناك ما يدعى بالتصلب الرمي .. تصلب الوجه والعنق يبدأ بعد

ساعتين ..

أنت تثبت عنق المتوفاة فكان رخواً ليناً ..

معنى هذا أن 24 ساعة مرت على الوفاة حتى يتلاشى هذا التصلب الرمي وترتخي

الأنسجة .. اخضرار الجانب يبدأ من المنطقة الأربية اليمنى ومعناه أن 24 ساعة

مرت على الوفاة .. ثم يبدأ الجلد يتحول إلى ما يشبه الرخام متى مررت 48 ساعة

.. طبعاً لو كانت الوفاة منذ 3 أيام لبدات تغيرات التعفن المعروفة ...»

قال الطبيب وقد بدأ يرتبك:

«صحيح .. لماذا لا يوجد تعفن ؟»

«لأن الوقت لم يحن بعد .. ثم إن هذه التغيرات تتأخر مع المسنين أو من نزلوا كثيراً

من الدم أو من تسمموا بالزرنيخ !»

«هل تريد القول إنها تسممت بالزرنيخ ؟»

«لا .. لكنني أعرف شيئاً واحداً .. هذه السيدة توفيت منذ يوم إلى يومين ولم يكن

معها أحد ...»

ثم أشار إلى المريضة وهتف:

«هذه الدموع ليست دموع الحزن أو الشك .. هي دموع الخوف .. دموع المهمل الذي

يخشى أن يفتضح أمره !»

وقبل أن يتكلم أي واحد من الواقفين اندفع إلى الباب بمقعده المتحرك تتبعه (عفاف)

.. ولم ينس على باب الشقة أن يستدير ويقول للطبيب:

«اعمل على أن تخطر النياحة بالأمر ولا تستخرج تصریح دفن وإلا شكوتك ...»

كان يغلي غيظاً .. يغلي غضباً ..

والدموع التي احتشدت في عينيه كانت مزيجاً من حسرة وغيظ .. المسنون يجب أن

يلاقوا أفضل عناية ممكنة وأن يعاملوا معاملة خاصة .. من أسوأ الجرائم طراً أن

تهملهم يومين كاملين وأن يموتوا وحدهم ..

والأسوأ أنه يخشى أن يتكرر هذا السيناريو معه يوماً ما .. يجب أن ينسى هذا وأن

يحمد الله على وجود (عفاف) الباسلة الأمينه معه

لكنه على الأقل قد قدم خدمة أخيرة لمدام (إيفون)...

شجرة أخرى

فرغ

صديقي (عصام) من محاضراته في الجامعة، وكنت أنا من بين الطلبة الجالسين في المدرج ..

يبدو منظري غريباً جداً كأنني شيخ وسط هؤلاء الشباب بنضارتهم، خاصة أنني أكبر أكبرهم سنًا بخمسة عشر عامًا على الأقل .

على المنصة يتحرك (عصام) بمقعده المتحرك أمام لوح الكتابة، ولكنه لا يكتفي بذلك بل يستخدم جهاز الإسقاط الضوئي .. يدافع بحماس عن قضية لا أعرف عنها أي شيء .. لا أفهم حرفاً من الرياضيات المتقدمة التي يشرحها، لكنني أعرف يقيناً أن هذا جزء ضئيل جداً من كل ما يعرفه .. لقد جاء من نفس الخامة التي خلق منها (الخوارزمي) و(أينشتاين) و(فيرمي) و(علي مصطفى مشرفة) و(نيوتن) .. هؤلاء قوم يفهمهم الناس بصعوبة جمّة ..

انتهت المحاضرة فجمع الطلبة أوراقهم وخرجوا لا يصدقون أنهم نفذوا بجلودهم ..

أما أنا فقد اعتليت المنصة وهنأت (عصام):

«محاضرة ممتازة .. الدليل أنني لم أفهم حرفاً»

قال ضاحكاً:

«المهم أن يكونوا هم قد فهموا .. فأنت حالة ميثوس منها»

ثم تعاونت مع العامل على إنزال المقعد، وخرجت معه من المدرج قاصدين البناية التي يوجد فيها مكتبه .. لقد اتفقنا على أن أوصله للبيت اليوم بدلاً من ذلك الشاب الذي يرافقه دوماً ..

لاحظت أن الطلبة يحيونه ويحترمونه بحق، وكنا نقابل عدداً منهم في ساحات الكلية فيحيونه بإعزاز بينما هو يمازحهم بطريقتهم .. ويستعمل ألفاظاً مثل (روشنه) ..

(طحن) .. الخ .. ألفاظاً من عالمهم .. من العسير بحق أن تظفر بحب واحترام الشباب لكنك تعرف أنك لن تفقدهما أبداً على الأرجح ..

ركبنا المصعد إلى الطابق الثالث حيث مكتبه ..

وهناك دفع المقعد إلى ما خلف المكتب، الأمر الذي قوى لدي تلك الفكرة السابقة:

هذا رأس لا جسد له .. رأس عملاق يشع بالذكاء وجسد وأهن ضعيف .. يذكرني

كثيراً بـ (هوكنج) أستاذ الفيزياء البريطاني العبقري .. طلب لي قدحاً من القهوة،

ثم راح يتأمل مظاريف الرسائل المكومة هناك .. ثم نظر لي نظرة خبيثة من وراء

عويناته الضخمة وقال:

«هيه ٥»

«هيبه ماذا ٥»

«السبب الذي أتى بك هنا وجعلك مهتماً لهذه الدرجة .. أنا أعرف أنك لا تفعل هذا

كله لله أو حباً في سواد عيني...»

طبعاً لن أستطيع أن أخدعه أبداً..

ناولته ورقة مطوية هي نسخة فوتوغرافية لرسالة .. وطلبت منه أن يقرأها بصوت

عال، فقال:

«أي ، هـ ، بي ، تز ، معه ض ، غ»

قرأها ثم رفع عينه وقال:

«هذه شفرة طبعاً ...»

قلت له في سخرية:

«أنت عبقري كالعادة .. طبعاً هي شفرة وأطلب أن تحلها لي ...»

قال في غيظ:

«يبدو أنك لا تستوعب ما أقوله لك .. ذات مرة حكيت لك عن الشفرات، وكيف إنها

تحتاج إلى ما يعرف بـ (مذكرة المرة الواحدة) لحلها .. هناك شفرات تعتمد على

إحلال رقم أو حرف مكان رقم أو حرف آخر .. مثلاً يمكن أن نحول كل (ألف) في

كلامنا إلى (باء) وننتفك على هذا ... لكن هذه الطريقة يسهل حلها على الحاسب

الآلي أو أي شخص لديه صبر لعد مرات تكرار الحروف ..»

ثم تذكر شيئاً فأضاف:

«ذات مرة جرب ملك الروم أن يختبر العبقري (الخليل بن أحمد)، لذا أرسل له رسالة

بحروف يونانية، وتحداه أن يقرأها علماً أنه لا يعرف حرفاً من تلك اللغة ... طلب

الخليل مهلة للتفكير واعتكف في غرفته قليلاً ثم عاد بعد نصف ساعة حاملاً

ورقة عليها كتابة بالعربية وناولها الضيف وقال: هل هذه رسالتك ٥. فيما بعد فسر

الخليل الطريقة التي اتبعها فقال : ملك الروم يعرف أنني أجهل معاني الكلمات

اليونانية .. هكذا فهمت أنهم استخدموا الحروف اليونانية ليكتبوا لي بها نصاً

عريباً .. بما أن هذه الرسالة كتبت بالعربية فلا بد أنها بدئت بـ (بسم الله الرحمن

الرحيم) .. هكذا قارنت حروف أول سطر لأعرف كيف تكون الباء والسين والميم والألف

واللام والراء .. الخ في اليونانية .. ثم رحت أقرأ النص .. فإذا وجدت لفظة أعرف أكثر حروفها استنتجت الحروف الباقية .. عندما تجد لفظة (الرسدل) فإنك تستنتج أنها (الرسول) وهكذا تعرف شكل حرف الواو لدى اليونانيين، من ثم كونت الأبجدية اليونانية كلها ..

هذه هي الطريقة المعروفة باسم enteropic attack

صحت في أنبهار:

«عبقري»

«ومن نحن حتى نمتدح (الخليل بن أحمد)؟»

على أن أحداً لا يجسر اليوم على استعمال هذه الطريقة لأن حلها متاح للحاسبات الآلية .. هكذا نجد أننا أمام طريقة (مذكورة المرة الواحدة)...

هناك مفتاح لهذه الشفرة لكن لا يعرفه سوى أصحابها .. هات المفتاح أحل لك الشفرة ..

لما رأى خيبة الأمل على وجهي قال:

«على كل حال لا بأس أن تحكي لي القصة ..

يقول أطباء القلب إنه من المستحيل أن يجد الطبيب تخطيط قلب ملقى في الشارع فيشخص لك ما به .. لا بد أن تكون عنده خلفية عن المريض .. لعل الأمر ينطبق على حالتنا ...»

.....

قلت له:

«نحن منذ زمن نراقب (علي الشناوي) .. لو أنك رأيته لأصابك الهلع، ولطلبت منا أن نقبض عليه بآية تهمة .. ما أن تراه حتى تدرك أنه مجرم .. لكنه حذر .. هذه نقطة، وشديد الذكاء جداً، كما أنه تلقى قسطاً من التعليم الجامعي .. نحن نعرف أنه يؤجر قوته لمن يدفع أكثر .. يمكنك التخلص من أي شخص تريده لو دفعت المبلغ المتفق عليه ..

«في ليلة الحادث يأخذ الصراف (محمد بيومي) حقيبة مليئة بنقود شركة ما، ويسافر إلى الاسكندرية ليسلمها في المركز الرئيس لكنه لا يلحق بهم قبل موعد

الإغلاق .. هكذا يختار شندقا جوار محطة الرمل ليمضي فيه ليلته .. في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل يجد موظف الاستقبال رجلاً مريباً يحاول مغادرة الفندق، فيقبض عليه ويطلب الشرطة .. طبعاً يتضح أن هذا الرجل هو (علي الشناوي) .. «في ذات الوقت نجد الصراف (بيومي) في غرفته وقد ضربه احدهم حتى فقد الوعي .. هناك مبلغ ثمانمائة ألف جنيه اختفى من الغرفة ..

«في المستشفى لا يعرف الصراف أي شيء عمن هاجمه .. لقد هوجم أثناء نومه .. «لم نجد النقود مع (الشناوي) لكن كل شيء يؤكد لنا أنه ألقى بالحقيبة من النافذة لشريك ينتظره .. (الشناوي) يؤكد أنه جاء للفندق ليبعث عن صديق له، ولا يعرف أي شيء عن الصراف .. ليس من حقنا اتهامه بشيء ما دعنا لم نجد معه المال أو نظبطه متلبساً .. طبعاً لا توجد بصمات كما في أية عملية أخرى قام بها (الشناوي)» ..

«ثمة نقطة أخرى مهمة .. لم يكن هناك من يعرف بالفندق ولا نية الصراف المبيت فيه إلا مساعده في العمل، لأنه اتصل به ليخبره بما انتواه .. مساعد الصراف يدعى (هشام) وهو شخصية مريبة ..

«كما ترى هناك شخصيات مريبة كثيرة في القصة .. ولا يوجد دليل واحد .. الدليل الوحيد هو تلك الورقة التي وجدناها في جيب الشناوي، وهي كما ترى .. بالمتاسبة هذا ليس خط الشناوي ..

«لو استطعنا البرهنة على أن الشناوي هو الفاعل، لاستطعنا كذلك البرهنة على أنه فعل هذا بتكليف من (هشام) .. ولعله هو الذي تلقى الحقيبة من النافذة ..»

سألني (عصام):

«وماذا قال عن الألفاظ الموجودة في تلك الورقة؟»

«قال إن هذا ليس من شأننا .. كان يجرب قلماً جديداً .. هراء من هذا النوع ..»

عاد (عصام) يتأمل الورقة في اهتمام وقال:

«ما زال الأمر صعباً .. وقلت لي كم كان المبلغ المسروق؟»

«ثمانمائة ألف جنيه ..»

أخرج ورقة وقلماً ورأيتة يرسم جدولاً على الورق ويجري بعض العمليات الحسابية ..

ثم قال لي وعلى وجهه بسمة انتصار:

«متى وقع الاعتداء؟»

«في الحادي عشر من مايو .. لايد أنه كان في منتصف الليل»

قال (عصام) ضاحكاً كطفل:

«كان المصاب - أعني الصراف - في الغرفة رقم 407 ؟»

نظرت له في ذهول .. لقد فعلها الوغد من جديد .. لكن كيف ؟

قال (عصام) وهو يعرض علي الجدول:

«لست ساحراً .. لقد استعمل الرجل نوعاً من حساب الجمل ليفهم المعلومات التي أبلغها (هشام) له .. حساب الجمل أسلوب يهودي عرفه العرب واستعملوه في كلامهم بكثرة، لأن الأبجدية العربية تتطابق مع العبرية تقريباً .. في هذا الحساب يتم وضع رقم يعادل كل حرف من الأبجدية، كما يلي:

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي
1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	
20	30	40	50	60	70	80	90	100	
ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ	
200	300	400	500	600	700	800	900	1000	

«وهناك دراسات عديدة في حساب الجمل في القرآن الكريم .. هناك أمثلة مذهلة حقاً .. لكن في حالتنا هذه لفت نظري رقم ثمانمائة ألف .. هذا هو المبلغ المسروق .. لو راجعت آخر حرفين في الورقة بعد كلمة (معه) لوجدت ض ، غ .. ثمانمائة ألف ..

«الآن تعال معي نتذكر نص المذكرة: (أي : هـ ، بي ، تز ، معه ض ، غ) .. هي تحوي الأرقام: 11 (10 + 1) ، 5 ، 12 (10 + 2) ، 407 ، (400 + 7) ، معه 800 ، 1000 ..

«أي يوم 11 من شهر خمسة .. الموعد المناسب هو 12 مساءً .. غرفة 407 .. معه 800 ألف ..

«إن (هشام) وغد حذر شديد الذكاء .. لهذا دون ما يذكره بالتفاصيل في مذكرة لا

يمكن فهم محتواها لو وقعت في يد الشرطة، وهي التي سلمها للشناوي .. وبما أن الشناوي يذكر حساب الجمل جيداً كما هو واضح، فقد كان من السهل عليه أن يحول الحروف إلى أرقام في أية لحظة ..

قلت في حيرة:

«هل تعني أن الشناوي علّم حساب الجمل لهشام ؟»

«هذا هو الاحتمال الأرجح .. لا بد أن (هشام) كان ينتظر فرصة سانحة منذ زمن، وقد أبقى الشناوي مستعداً .. فجأة جاءت الفرصة في مكالمة الصراف له من الاسكندرية .. يمكنه بسهولة أن يعرف رقم الغرفة أثناء المكالمة .. أنا أقمت في هذا الفندق من قبل .. هل غرفتك هي 211 ؟ لا .. هي 407 .. هكذا يدون المعلومات مشفرة للشناوي ويرسلها له .. ربما أخبره باسم الفندق شفوياً .. وعلى كل حال يمكنكم بسهولة إثبات أن هذا الخط خط (هشام) ...»

نظرت له في ذهول، ومددت يدي إلى سماعة الهاتف ..

سوف يسهل التأكد مما إذا كان على حق أم لا .. لكنني عرفت الجواب منذ اللحظة الأولى.

کتاب ثمین

رحت أتأمل رف الكتب في غرفة مكتب (عصام) ... كانت ثقافته موسوعية كما لك أن تتوقع من شخص هو عقل قبل أي شيء آخر .. وقد أبديت له هذه الملاحظة فقال ضاحكاً:

«أنت تقع في الخطأ الذي تقع فيه الفتيات .. عندما يتقدم لها شاب يشذب شاربه جيداً ويدخن لفافة التبغ المستوردة بأناقة، ويقود سيارته ببراعة، فهي تفترض أنه إنسان ممتاز يصلح زوجاً لها»

قلت في غباء:

«لا أفهم ..»

«لا يعني وجود هذه الكتب عندي أنني مثقف .. ربما لم أقرأ عنواناً واحداً منها .. أنت تتعامل مع الناس كما يبدو لك لا كما هم فعلاً ..»

«لكنني أعرف يقيناً أنك قرأت هذا كله فأنا أعرفك»

حك رأسه في تواضع وقال:

«هذا موضوع آخر .. فعلاً قرأت أكثر هذه الكتب، وهذا يحملنا إلى السؤال التالي .. هل استوعبت ما قرأت أم أنني كنت كالحمار يحمل أسفاراً؟»

كانت المناقشة معه ترهقني أحياناً لذا آثرت الصمت، ورحت أتصفح العناوين .. كانت هناك مراجع رياضية كثيرة بالإنجليزية .. وكانت هناك كتب أدبية، على أنني وجدت مجلداً فارغاً .. مجرد غلاف سميك لا يحوي أي شيء .. وقد كتب على كعبه اسم (إنريكو فيرمي) ..

قلت له ضاحكاً:

«هل تخفي نقودك في غلاف مجلد فارغ كما يفعلون في السينما؟»

قال وهو يمسك بالغلاف في يده:

«للأسف لا .. هذا الكتاب كتبه واحد من أعظم علماء الفيزياء في القرن العشرين .. (فيرمي) عالم الطبيعة النووية الذي فر إلى الولايات المتحدة ليكون مع (أينشتاين)

و(بور) وآخرين في عصر طموح القنبلة الذرية .. على كل حال كانت فكرة القنبلة وليدة أفكار (زيلارد) وقد نفذها (أوبنهايمر) ... لم يتسع الوقت لأقرأ هذا الكتاب قط .. افترض أحد الأوغاد هذا الكتاب مني منذ عشرة أعوام ثم أعاده لي فارغاً وقال إن ابنه مزقه .. هو لا يعرف أين ذهبت محتوياته .. اعتذر كثيراً جداً، لكن فقد هذا

الكتاب يشعرني كأنني فقدت يدي اليسرى ..»
«إلى هذا الحد؟»

«لقد فشلت في العثور عليه ثانية .. جربت البحث في الإنترنت لكن من الواضح أن هذا الكتاب قد انقرض ..»

ثم ابتسم وأعاد الكتاب إلى الرف وقال:

«دعنا من هذا .. هل سنتناول العشاء معي؟ لا؟ ... إن هذا مؤسف ..»

«أنا لم أقل لا ..»

«لحقت الرفض في عينيك وشعرت بحسرة! ...»

كنت أنا شارذ الذهن أفكر .. أنا بحاجة لتقديم شيء ما لهذا الرجل الشجاع .. إن عيد ميلاده قريب .. ماذا لو فوجئ بأن صديقه لم ينس .. وأنه بحث عن الكتاب الثمين ووجده ..؟

قلت له في حذر:

«هل تسمح لي بأن آخذ الغلاف معي؟»

«لن تنجح .. لو كان للكتاب أثر لوجدته أنا ..»

«جريني .. فقد تسبق العرجاء ..»

هز رأسه باسمناً وناولني الكتاب الفارغ .. غير عاظم أنه قدم لي طناً من المتاعب في الأسبوع التالي ..

الحاج بيومي قادني إلى عم خليل وعم خليل قادني إلى يوسف .. يوسف أخبرني عن أبي طالب وهذا الأخير دلني على أسامة .. هذه جولة وسط أياطرة الكتب في القاهرة .. ملوك سور الأزيكية الذين يملكون مفاتيح الكتب، ويعرفون مكان أي كتاب في مصر ..

كان من الممكن أن تساعدني مهنة الضابط كثيراً في هذا الصدد، لكنني فضلت أن احتفظ بأمرها سراً لأن هؤلاء القوم حذرون متشككون بطبيعتهم .. ضابط يبحث عن كتاب أمر لا يعني سوى الكثير من المتاعب ..

أسامة كان شاباً في الثلاثين له شارب كث وعينان حذرتان يقطعتان .. وكان يجلس

في المقهى حافي القدمين بينما يلمع عجوز أسمر نحيل حذاءه على بعد خطوات، وكان يشرب الشيشة ويجرع جرعات كبيرة من كوب شاي أسود ثقيل، وهو لا يفارقني بعينيه .. لسبب ما أشعر أننا نتكلم عن مخدرات لا عن كتاب لعالم فيزيائي .. سألني:

«هل قرأت ذلك الكتاب ؟ .. ما محتواه ؟»

«لم أقرأه ولم يقرأه صديقي .. لكنه كتاب باللغة الإنجليزية عن الطبيعة النووية ..» ثم وضعت الغلاف الفارغ أمامه فنظر له متفحصاً، وقال وهو ينفث سحابة دخان كثيفة:

«سوف أجده .. إن لنا وسائلنا ما دام الزبون جاداً ويقبل الدفع .. لكن لا أضمن ألا يكلفك هذا عالياً ..»

«المال ليس مشكلة .. لكن هل لي أن أعرف كيف تنوي أن تجده ؟»

«هذه مهنتي .. حتى لو اضطررت إلى الاتصال بأحد معارفي في الخارج ..»

ثم وضع مبسم الشيشة على المنضدة وصفق بيده طالباً الحساب، فأقسمت أن أدفع أنا .. ناولني بطاقة صغيرة عليها رقم هاتفه المحمول وقال لي:

«بعد أسبوع إن شاء الله تسمع خيراً»

بعد أسبوع كان أكثر ظرفاً ولطفاً .. على نفس المقهى أخرج كتاباً من كيس ورقي وقال:

«تفضل ..»

في لهفة نظرت للغلاف فرايت اسم (إنريكو فيرمي) .. فررت الصفحات فوجدت كلاماً لا أفهمه عن مدارات الذرة والنيوترونات والبروتونات والالكترونات .. رسوم لمدارات .. الخ .. نفس الغلاف الذي رأيته عند عصام ..

«وهذا هو غلافك الأصلي ..»

ووضع الغلافين أمامي لأرى التشابه الكامل بينهما .. ثم قال في لطف:

«خمسائة !»

«خمسائة صفحة ؟»

«بل خمسمائة جنيه !»

وراح يحكي لي مدى المصاعب التي عاناها والإكراميات التي دفعها .. لولا المبالغة لقال إنه سافر إلى ورثة (فيرمي) ليأخذ الكتاب منهم .. بالفعل بدأت أشعر أننا نتكلم عن صنف من المخدرات لا عن كتاب .. يحاول إقناعي أنه لن يكسب سوى جنيهين أو ثلاثة من هذا المبلغ كله ..

لكنني وعدت .. لذا مددت يدي في حافظتي وأخرجت المبلغ المطلوب ..

أرجو أن يسعد (عصام) بهذا الكتاب .. هذا هو التعويض الوحيد لي عن كل هذا المال الذي ضاع هباء .. لو أن زوجتي عرفت لنصبت لي المشاقق ..

وفي يوم عيد ميلاد عصام طلبت منه أن يغمض عينيه ثم وضعت الكتاب اللعين في حجره ..

فتح عينه ونظر للكتاب في لهفة ..

«يا صديقي الطيب ! .. أنت فعلتها !»

سألته في حذر:

«هل المحتويات واحدة ؟»

«لا أدري .. تعرف أنني لم أقرأ الكتاب الذي ضاع ...»

وراح يتصفحه .. ثم قلب بطن الغلاف الأخير وتأمل شيئاً ما .. أخرج قلماً صغيراً

وراح يجري حسابات معينة على الهامش ..

بعد دقيقة قال لي:

«لا أريد أن أضايقك .. لكن هذا الكتاب مزور ..»

صحت في صوت كالبكاء:

«ماذا ؟»

الغلاف هو الغلاف والمحتوى عن الطبيعة النووية ..

«نعم .. نعم .. هو كتاب عن الطبيعة النووية لكننا لا نعرف مؤلفه .. هناك من قام

بتزوير الغلاف ليشبه الكتاب القديم، وهي عملية شاقة متقنة، خاصة أن اسم

الكتاب لا يوجد على هامش الصفحات .. يبدو أنك أبدت لهفة واضحة أغرت

البائع بأن يقوم بهذا التزوير الشاق ..»

قلت في حيرة وأنا أشعر بأنني دست سلكاً كهربياً:

«لكنك تقول إنه متقن ..»

«متقن نعم ..

هذا ليس مرادفًا للفضلة (أصيل) .. كم دفعت ثمنًا له ؟»

قلت كاذبًا:

«عشرين جنيهًا!»

صفر بشفتيه غير مصدق لفداحة المبلغ .. وقال في غضب:

«يجب أن تعيده .. عشرون جنيهًا ؟» .. إن النصب لن يتوقف عند حد !!»

قلت له وأنا استجمع أنفاسي:

«سأعيد الكتاب لكن أريد معرفة كيف عرفت ..»

فتح الغلاف الأخير حيث باطن الكتاب .. هناك كانت العبارة الشهيرة:

ISBN 0 - 205 - 12669 - 7

قال لي:

«هل تعرف معنى ISBN ؟»

«يكتبونها في آخر الكتب .. أعتقد أنها رقم الإيداع أو شيء من هذا القبيل ..»

«بالفعل .. هي اختصار عبارة International Standard Book Number ..

أي رقم الكتاب القياسي الدولي .. لو قرأت الرقم من اليسار لوجدت الصفر .. معنى

هذا أن لغة الكتاب هي الإنجليزية .. 205 رقم يدل على الناشر ..

12669 يحدد الكتاب نفسه ..

الرقم الأخير على اليمين هو المهم، لأنه يحدد مدى دقة هذه الأرقام المجاوزة ..

لحساب هذا تضرب كل رقم من اليسار إلى اليمين حسب موضعه من عشرة إلى واحد ..

أي تضرب الصفر في عشرة .. وتضرب الاثنين في تسعة .. وتضرب الصفر في

ثمانية .. وهكذا حتى تبلغ اليمين .. ويتم جمع هذه الأرقام كالتالي :

$$0 \times 10 + 2 \times 9 + 0 \times 8 + 5 \times 7 + 1 \times 6 + 2 \times 5 + 6 \times 4 + 6 \times 3 + 9 \times 2$$

يتم جمع هذه المصفوفة ..

سوف تجد أن المجموع هنا 129 ..

الآن يختار من يضع الترقيم أن يكون الرقم على اليمين عددًا صحيحًا من واحد إلى عشرة ..

هو أقل عدد يُضاف لمجموع المصفوفة لتقبل القسمة على 11 .. في مثالنا هذا تجد

أنك لو أضفت رقم 3 إلى 129 لصار المجموع 132 وهو رقم قابل للقسمة على 11 ..

هو أقل رقم ممكن لتحقيق هذا الشرط .. بعبارة أخرى الرقم على اليمين يدلنا على

أن الحسبة صحيحة ..

ثم قرب الكتاب مني وقال:

«كما ترى الرقم هنا هو 0 - 205 - 12669 - 7 ...

لا يوجد رقم 3 على اليمين .. رقم الكتاب القياسي خطأ .. هذا كتاب لا وجود له

ببساطة .. لقد تم تلفيق الغلاف جيدًا لكن من لفقه لم يكن يعرف هذه القاعدة ..»

ثم قلب الصفحات وقال:

«دعك من أني لو قرأت بتدقيق لوجدت ما يدل على مؤلف الكتاب الحقيقي .. ولكن

إلى أين أنت ذاهب ؟»

قلت وأنا أغادر الغرفة:

«سأبحث عن هذا النصاب الذي خدعني وسلبني الخمسة ... أ .. العشرين جنيهًا

... سوف يعرف أنه حاول أن يعيث بضايط شرطة .. سأريه أنني أعرف كيف أكون

شرسًا !»

اختبار نفسي

قالت لي (شيرين) :

«لا تقلق .. أغمض عينيك واضع لما أقول لك ..»

أغمضت عيني برغم أن هذا غير مريح .. كنت أشعر أن المدرسة كلها تراقبني في عصر ذلك اليوم الحار .. جالسين في الفناء نشم هواء الربيع القادم (الحرق) أيام .. أخاف هذا الهواء كثيراً .. الهواء الذي تشبع من الحقول المحروثة وحبوب اللقاح وأزهار البرتقال وأنفاس العشاق، فصار كاللهب يتسلل إلى كل مراكز الهرمونات ليشعلها .. أنت عاشق !..

ومتي ؟..

قبل امتحانات نهاية العام مباشرة حيث لا وقت للأحلام والشعر ورسم القلوب على هوامش كتاب الجغرافيا ..

كانت هذه هي الفترة القصيرة التي عرفت فيها (شيرين) الفاتنة، والتي ظلت مصرة على أن تداعبني مداعبات عقلية لا أول لها وآخر .. مداعبات تبرهن على غيائي قبل كل شيء..

لهذا توجست خيفة من طلبها هذا ..

أغمض عينيك وثق بي ..

لا بد أن هناك مقلباً ما ..

لكنني أغمضت عيني وفعلت كما طلبت .. فقط من وقت لآخر أفتح نصف عين لاتأكد من أن الفصل كله لا يقف حولي، أو أنها ثبتت لي ذيلًا أو الصقت على ظهري لافتة تقول: اضربوني ..

قالت لي:

«هذا اختبار نفسي بسيط .. يمارسونه في الخارج ..»

«فهمت .. ثلاثة أكواخ فيها ثلاث فتيات ... الأولى اسمها هالة والثانية من فرنسا و...»

قالت لي دلال:

«يا لك من طفل .. !..»

قلت لك إنه اختبار نفسي وليس اختبار ذكاء ...

والآن أصغ لما أقول ...

أغمضت عيني بإحكام وانتظرت ...

قالت لي:

«أنت تمشي في الغابة .. تخيل هذا .. هل رأيت غابة من قبل ؟.. لا ... إذن أنت تمشي في عزبة أو في الريف . أي شيء... من الذي يمشي معك الآن ؟»

قلت على الفور:

«يا له من سؤال سخيف !! .. أنت طبعاً ...»

«ليكن .. هذا مفهوم .. هناك حيوان يعبر الغابة أمامك .. هل تراه ؟.. هل عرفت ما هو ؟»

«أعتقد إنه .. إنه فيل .. فيل أفريقي كبير .. ينظر لي ويرفع خرطوميه محيياً ..»

«ماذا تفعل له ؟»

فتحت عيني ونظرت لوجهها المليح القسيم وقلت:

«أنا ؟؟ .. لا شيء طبعاً .. ماذا بوسع المرء أن يفعل مع فيل ؟ .. أتجاهله وأتظاهر بأنني لم أره ...»

عادت (شيرين) تتكلم:

«هم م م .. الآن أنت غادرت الغابة لتمشي وسط مساحة خالية من الأشجار .. هناك بيت .. بيت أحلامك الذي تصبو إليه طيلة حياتك .. هل هو كبير أم صغير ؟»

قلت في تواضع:

«صغير جداً... أنا مولع بالقليل من كل شيء، وأؤمن بأغنية فريد الأطرش: عش العصفورة يقضينا .. لو كنت معك فمن يحتاج إلى بيت كبير ؟ البيت الصغير يتيح لي أن أكون بقربك طيلة الوقت»

ضحكت ضحكة من لا يريد المزيد من المزاح وواصلت الأسئلة:

«هل حول البيت سور ؟»

«لست متأكداً ...»

«فكر جيداً... فكر بعمق ...»

«لم أر بيتاً في غابة من قبل، لذا أعتقد أنه محاط بسور مكهرب .. لا بد من إبعاد الوحوش كما تعلمين ...»

قالت لي بعد صمت:

«حسن .. أنت دخلت غرفة الطعام ..

هناك منضدة .. هل لك أن تصف لي المشهد ؟»

فكرت قليلاً ثم قلت:

«لا يوجد شيء ..»

«متأكد ؟.. لا يوجد ناس يطعمون ؟.. لا طعام على المائدة ؟»

«لا شيء .. مجرد مائدة خشبية عتيقة فارغة ..»

«همم .. ليكن .. أنت غادرت البيت .. هل ترى هذا الكوب الملقى وسط العشب ؟»

«لا يوجد كوب وسط العشب ..»

«بل يوجد .. أنظر جيداً ..»

«لا يوجد .. من الذي يحلم ؟.. أنا أم أنت ؟.. ولكن .. ليكن .. هناك كوب فعلاً..»

«مم صنع ؟»

«إنه كوب ورقي طبعاً .. ما داموا تخلصوا منه بين العشب فلا بد أنه ورقي ..

للاستعمال مرة واحدة»

«وماذا تفعل به ؟»

«أسحقه بقدمي .. أحب صوت تهشم هذه الأكواب الورقية ..»

فكرت حيناً ثم قالت:

«جميل .. جميل .. والآن أنت تتجه خارج حدود المنطقة .. هناك سطح مائي ما ..

هل هو بقعة ماء أم بئر أم بركة أم نهر أم بحيرة أم محيط ؟»

فكرت في الصورة المتجسدة في خيالي وقلت:

«بركة ماء .. لا أراها إلا بهذا الشكل ..»

«كيف تنوي أن تعبرها ؟»

إنها تحاول الإيقاع بي كما هو واضح .. اختبار ذكاء .. هكذا قلت في حماس:

«لن أعبرها .. لو اضطررت للعبور لبحثت عن جذع شجرة استعمله كجسر .. هكذا

لن أبتل أبداً ..»

قالت لي:

«والآن افتح عينيك .. لقد انتهى الاختبار ..»

فتحت عيني شاعراً بذلك الشعور الغريب المعتاد بأن درجة الإضاءة تغيرت أو أن

شكل الأشياء لم يكن هكذا عندما أغمضت عيني .. سألتها على الفور:

«هيه ؟.. ما النتيجة ؟»

كانت تمسك بمفكرة صغيرة دونت فيها إجاباتي، وقالت وهي تجمع حاجياتها:

«ليس الأمر بهذه البساطة .. سوف أرجع لكتبي أولاً..»

وسرعان ما كانت تتواثب مبتعدة .. ووقفت وحدي أنظر لها حالماً ..

كان (عصام فتحي) صديقي العبقري يقف هناك يراقب مباراة في كرة القدم بين الصفيين الثاني والثالث .. لا بد أنك لاحظت أننا في أيام الدراسة وكان (عصام) يمشي .. كانت له قدمان حيتان ..

أما عن وقوفه يشاهد المباراة فأمر عجيب .. بالتأكيد هو لا يراقب اللعب ولكنه يراقب ذاته وأفكاره الخاصة .. ربما يدرس احتمالات أن تلمس الكرة ذات اللاعب مرتين، أو احتمال أن تخرج من الملعب .. المهم إنه يشاهد كل شيء في الملعب عدا المباراة ..

«تأخرت ..»

لوححت بالكيس الورقي في يدي وقلت:

«كنت أشتري بعض الحلوى من المقصف .. ثم قابلت شيرين فأجرت لي امتحاناً

سريعاً .. اختباراً نفسياً عجيباً ..»

ورحت أحكي له تفاصيل أسئلة (شيرين) وهو يبتسم .. ابتسامته تزداد اتساعاً مع

الوقت .. حتى انفجر يقهقه .. سألته في غيظ عما يضحك ها هنا ..

قال لي:

«إن الكتب والمجلات تعج بالاختبارات من هذا النوع .. لكن هذا الاختبار شهير جداً

ومن الغريب أنك لم تسمع عنه من قبل .. والأجمل هو أنك اخترت كل الإجابات

الخاطئة ..»

«ماذا تعني ؟»

قال في هدوء وصبر:

«أنت في غابة وتمشي مع شخص ما .. من المفترض أن هذا الـ (شخص ما) هو أهم

شخص في حياتك .. أنت اخترت (شيرين) .. جميل جداً .. بداية موفقة .. هناك

حيوان يعبر الغابة .. حجم هذا الحيوان يدل على حجم مشاكلك .. أنت اخترت الفيل

وبالتالي دلت لها على أنك تواجه مشاكل عويصة في حياتك .. أما طريقة تعاملك

مع الحيوان فتدل على طريقتك في مواجهة المشاكل .. طبعاً أنت عبثي ولم تفعل أي شيء على الإطلاق .. معنى هذا أنك إنسان سلبي جداً ..
«ليكن .. لا أتوقع أن تكون كل إجاباتي موفقة ..»

«المنزل في الغابة يدل على حجم طموحاتك .. كنت أنت متواضعاً قنوعاً واخترت أصغر منزل ممكن .. يمكننا أن نعرف أنك لا تملك أي طموح على الإطلاق .. السور حول المنزل يدل على شخصية منغلقة تمقت الآخرين .. ثم إنك دخلت قاعة الطعام لتواجه منضدة خالية ليس عليها طعام ولا يوجد ناس .. معنى هذا أنك شخص غير سعيد على الإطلاق .. ثم خرجنا إلى الغابة لتجد الكوب الملقى وسط الأعشاب .. خامة الكوب تدل على متانة علاقتك مع الشخص الذي دخلت الغابة معه .. أنت اخترت كوباً ورقياً لأنك ذكي .. هذا يدل على متانة علاقتك بشيرين .. والأدهى أنك هشمت الكوب بقدمك .. ما فعله مع الكوب يدل على موقفك من الشخص الذي دخلت الغابة معه .. واضح أنك تحترمها وتحبها فعلاً ..
كنت أشعر بأذني ملتهيتين كالفتح .. وصححت في ضيق:
«وماذا عن البركة ؟»

«السطح المائي يدل على حجم حبك لذلك الشخص .. ألم تسمع فيروز تقول:
شايف البحر شو كبير ؟ .. كبر البحر باحبك ؟ .. أنت قلت إنك تحب شيرين بحجم بركة صغيرة .. لكن الأمر لم ينته بعد .. لو أنك ابتللت أثناء عبور البركة لكان هذا دليلاً على شدة حبك، لكنك لم تبتل وفضلت استعمال جسر ..
ثم لخص الموقف بعبارة واحدة:

«الآن تقرأ الفتاة معنى إجاباتك فتدرك أنك شخص محاط بالمشاكل ويرغم هذا هو سلبي جداً .. شخص بلا طموح ومنغلق يكره الناس وشديد التعاسة .. شخص يعيل لها لكن هذا الميل غير قوي، وهو مستعد للتخلي عنها ببساطة ..
صححت في جنون وقد بدا لي هذا غير عادل:

«هذه الألعاب السخيفة .. لا يمكن أن تحكم على إنسان بمجرد أنه يحب الأفيال ..
هذه الألعاب تكون ملققة دائماً ولا علاقة لها بالطب النفسي»
قال عصام في برود:

«أنا لا أحكم عليك .. هي التي ستحكم فقل لها هذا الكلام ..»

«كنت أحسبها أذكى من هذا ..»

«وهي غالباً أذكى من هذا .. لا اصدق أن شيرين تعتمد على هذه الاختيارات على كل حال .. لكنني تذكرت الآن قصة (رابطة ذوي الشعر الأحمر) من قصص (شيرلوك هولمز) .. في هذه القصة ظفر بطل القصة بوظيفة مريخة مريخة هي أن يذهب كل يوم لمكتب في آخر لندن ليجلس على مكتب ويتسح الموسوعة البريطانية .. هذه الوظيفة بدت غريبة لشيرلوك هولمز وقد راح يحقق في القصة .. في النهاية عرف أن الغرض كان إبعاد الفتى عن مسكنه بشكل ثابت منتظم، لأن هناك عصابة تحفر نفقاً من هذا المسكن إلى المصرف الذي يقع تحته ..»
قلت في حيرة:

«ما علاقة هذا بقصتنا ؟»

لوح بكيس الحلوى الذي كنت أحمله وقال:

«شيرين لم تهتم ذرة بهذا الاختبار .. فقط كانت تريد منك أن تجلس أمامها مغمض العينين لبعض الوقت .. هل تعرف السبب ؟ .. أعتقد أنك لن تجد شيئاً في كيس الحلوى الذي ابتعته هذا .. لقد نقلت كل محتوياته إلى حقيبتها بينما أنت غارق في الاختبار النفسي .. دعابة قاسية ذكية لا تصدر إلا عن شيرين .. وأعتقد أنني بدأت أميل لهذه الفتاة .. كنت أنت بعيد النظر عندما أحببتها .. بعيد النظر فعلاً !!»

مشاعر حارة !

الليمون، كنت أشعر أن روحي ذاتها لزجة ملتصقة بأحشائي ..
كان هو مرهقًا من الحر عاجزًا عن الكلام، وقد نبت العرق على شفته العليا ..
إن لديه جهاز تكييف لكنه معطل ولا أحد في الصيانة يكلف خاطره بزيارتنا ..
قال في خبث وهو يجفف عرقه:

«الحرارة لن تقل عن مائة فهرنهايت !»

نظرت له في حيرة، وطلبت منه أن يفسر أكثر، فقال:

«أي 38 درجة مئوية .. الأمر سهل .. إطرح 32 ثم اضرب في 9/5 ..

كل طفل يعرف هذا ...»

قلت في ضيق:

«وكل طفل يعرف أن الحرارة لن تقل عن ستين مئوية ..

أعتقد هذا .. أشعر به»

ضحك ورشف رشفة من الليمون وقال:

«هذه مبالغات ..

الحقيقة أن أقصى درجة حرارة سجلت على وجه الأرض كانت 57 درجة مئوية في

الظل، وكان هذا في موضع من كاليفورنيا اسمه (وادي الموت) ...»

قلت في انتصار:

«في الظل !.. هل سمعت ؟»

«أنا قلت هذا ..

فكرة تسجيل الحرارة في الظل هي محاولة منع حرارة الترمومتر من الارتفاع عن
الهواء المحيط به ..

هذا يعطي قياسات خاطئة تمامًا ..»

ساد الصمت إلا من صوت أنفاسنا الثقيلة ..

بدأت الشمس تنكسر قليلًا .. أعتقد أن هذه المحنة إلى زوال قريبًا ..

لكني وقد بدأ الكلام عن الحرارة والحر، تذكرت قصة مررت بها مؤخرًا وخطر لي أن
أسأل (عصام) عنها ..

رأى النظرة في عيني فقال :

«هلم .. قل ما عندك ...»

«مجرد قصة سخيفة لكنها مسلية ..

لا أعرف كيف يجتمع السخف مع التسلية .. ربما أردت القول إنها تافهة ..»

ثم فكرت قليلًا وبدأت أحكي ..

يبدو لي أن السبب الوحيد الذي يجعل صديقين يتشاجران ويختلفان هو الأنثى .

الرجال ليسوا من النوع الذي يفار بسبب الأناقة أو بسبب ثوب جديد، ولا يفار واحد

منهم لأن زوج أخت زوجته قام بتجديد غرفة الصالون أو ابتاع سيارة جديدة ..

أعتقد أن الأنثى هي السبب الوحيد الذي يجعل الرجال يتشاجرون ..

ولعلها من تقاليد القبيلة قديمًا، عندما كان الرجال يصطرون فتصير إناث القبيلة

للأقوى أو الأفضل ..

كان (مصطفى) و(رمزي) شابين يعملان في أحد الأفران العصرية الحديثة، حيث يتم

خبز البيتزا وتلك المعجنات التي عرفها مجتمعنا حديثًا ..

كانا مسئولين مع رجل ثالث عن الفرن الذي يتم فيه خبز الحلوى، وهو أقرب إلى

غرفة عملاقة لها نافذة من الزجاج الحراري مع (ترموستات) يتحكم في درجة الحرارة

..

(مصطفى) له خطيبة رقيقة تعمل في متجر ثياب قريب، وقد كانت تمر عليه في

الصباح والمساء لتبتاع بعض الخبز، أي إنها كانت تأخذه هدية طبعًا ..

وكان يوصلها لبيتها .. يوم الخميس كانا يخرجان للنزهة ..

على أن القلوب مراوغة بطبيعتها، وقد بدأ نوع من التجاذب بين (مها) - اسم الفتاة

- و(رمزي) ..

بدأ بنظرات إعجاب ثم كلمات .. ثم لقاء .. وفي النهاية عرف مصطفى أنه تقريبًا

قد خسر خطيبته ..

راح لرمزي في بيته، وقال له إن الرجل الذي يخسر صديق عمره من أجل فتاة ليس

برجل، وإنه لا يتصور أن تأتي الخيانة من صديقه ..

هذه هي القصة كما يحكيها (مصطفى) ..

في النهاية وعده (رمزي) بأن يقطع علاقته مع الفتاة .. أنا وأنت تعرف أنه لم يفعل ذلك ..

وجاء أولاد الحلال يخبرون مصطفى الواقف جوار الفرن أن رمزي في الحديقة مع مها .. هكذا ترك من يأخذ مكانه وهرع إلى هناك ليجد عاشقين رومانسيين يحلقان في سماء الأحلام .. كانت هناك مشاجرة واتهامات متبادلة .. سوف اختصر على كل حال ..

أنت تعرف هذا النوع من القصص .. تأتي الآن لليوم الموعد عندما جاء رمزي إلى عمله في الفرن .. كانت هذه بداية اليوم ولم يأت الزبائن ولا العاملون بعد ولم يأت شريكهما الثالث الذي أخبرهما أنه سيتأخر ساعتين ..

لم يتبادل الصديقان اللودان أية كلمة وانهمكا في رص العجين .. فقط نظر مصطفى إلى النافذة الزجاجية وصرخ في رعب واشمئزاز أنه رأى فأراً داخل الفرن! ..

كانت هذه كارثة ..

المخبز راق يعنى بالنظافة بشكل كبير ..

دخل الصديقان إلى الفرن الخامد وراحا يفتشان، وكما قلت لك فالفرن متسع يسمح بدخول رجلين ..

لم يكن هناك شيء ..

قال رمزي إنه يعتقد أن مصطفى وأهم، لكن هذا الأخير أصر على كلامه ..

إلى هنا تختلف القصتان .. رمزي قال إنه جثا على ركبتيه يبحث عن الفأر، لحظات ثم سمع الباب يوصد ..

الباب الذي لا يفتح إلا من الخارج! ..

نهض مذعوراً ليرى ما هنالك فرأى عبر النافذة الزجاجية مصطفى يتجه إلى قرص الثرموستات ويقوم بتشغيل الفرن! ..

رأه يرفع درجة الحرارة إلى 140 درجة مئوية دون أن ينظر له! ..

فقط رفع عينه ليبدله نظرة باردة صلبة قاسية، ثم انهمك في العمل ..

يقول رمزي إنه راح يصرخ ويضرب الباب بقوة، لكن الحرارة كانت ترتفع فعلاً! .. هل جن مصطفى! .. لو احترق رمزي فلن يفلت مصطفى من العقاب ..

إنه الإعدام! ..

لكن حتى لو مرقوه إلى أشلاء تلتهمها الكلاب فلن يفيد هذا رمزي في شيء، ولن يغير حقيقة أنه سيموت حرقاً في فرن!

أسوأ كوابيسه يتحقق، ولن يظهر كائن حي قبل نصف ساعة يكون هو قد تحول فيها إلى دجاجة مشوية ..

راح يصرخ ويضرب الباب ويتوسل، وراح يخدش الباب من الداخل بمفاتيحه .. ثم ابتعد عن الباب والجدران وقد أدرك أنها تسخن بلا انقطاع .. أمله الوحيد هو أن يأتي أحد في هذه اللحظات ..

مصطفى قد جن ..

هذا هو التفسير الوحيد ..

لهذا لا يعبا بتبعات هذه الجريمة ولا يهمه ما سيحدث له بعدها ..

يقول رمزي إنه كان موشكاً على الجنون بدوره عندما انفتح الباب فجأة!

عندما خرج أدرك أن عشر دقائق مرت عليه بالداخل، ولم يجد مصطفى ..

هذه هي قصة رمزي، أما مصطفى فيحكي بطبيعة الحال قصة مختلفة تماماً عن كراهية رمزي له وتلفيق التهم طيلة الوقت ليخلو له الجو مع (مها) ..

يؤكد أنه تأخر في ذلك اليوم عن الذهاب إلى الفرن .. كيف يضع رمزي في الفرن إذا لم يكن هناك أصلاً وقتها ؟

هكذا تصادمت حكايتان بلا شاهد ..

بالنسبة لنا في الشرطة لم نصلق حرفاً من حكاية رمزي ..

كيف يبقى إنسان في فرن درجة حرارته 140 درجة مئوية عشر دقائق ويظل حياً ؟ بل لا يترك هذا أي حروق أو آثار على جلده ؟ ..

رمزي كاذب وقد وجهنا له تهمة البلاغ الكاذب وإزعاج السلطات ..

قصة طريفة هي وقد تذكرتها بمناسبة هذا الجحيم الذي نحن فيه ..

لا أطلب رأيك فالقضية منتهية ..

فقط أحكيها لأنني تذكرتها ..

قال (عصام) وهو يشكرا

«عامّة لا أميل إلى الاعتقاد بأن العاشق الجديد ميال للتعف ..

إنه ثمل من خمر الحب، ويكتفي بما أحرزه من نصر على منافسه فلا يرغب في مزيد من الإيذاء ..

العاشق المهجور القديم هو الذي تملأ نفسه المرارة ويكون أقرب إلى الانتقام .. أنا أميل إلى تصديق قصة رمزي ..

وأعتقد أن مصطفى لم يهدف إلى قتله، وإلا لما أوقف الفرن ..

كان بوسعته أن يتركه فترة أطول بكثير .. كان يهدف إلى تعذيبه وإخافته وتلقيه درسا قاسيا .. »

قلت محتجا:

«وموضوع الصمود في الفرن هذا ؟.. هذه قصة لا تنطلي على طفل ..»

قال في غموض:

«أنت لا تتصور قدرة الجسم البشري على تحمل الحرارة ..

عندما يكون الهواء حولك جافا يمكن لجسدك أن يتحمل حرارة تبلغ 160 مئوية

.. هناك عالمان فيزيائيان بريطانيان هما (بلاجدن) و(جنثري) جريا البقاء في فرن

خبز وسجلا هذه الحرارة، بينما يقول العالم تنديل: إن الإنسان يتحمل درجات حرارة

صالحة لقلي اللحم وسلق البيض ..»

«وكيف ؟»

«الجسم يحاول التكيف مع هذه الحرارة عن طريق بخر العرق، وبهذا يحافظ على

حرارته ثابتة .. لكن يجب أن يتحقق شرطان: ألا يلمس الجسم شيء ، وأن يكون

الهواء جافا لأن الهواء الرطب يقلل من تحمل الحرارة بدرجة غير معقولة . في

قصتك هذه تحمل رمزي حرارة تقدر بـ 140 مئوية لعشر دقائق ولم يلمس الجدران

.. العلم يقول إن هذا ممكن .. لو أنكم ذهبتם فوجدتم جثة متفحمة لما جرؤتم على

اتهام رمزي بالكذب، لكن نجاته جعلته كاذبا في رأيكم !..

الناس تصدق الجثث أكثر من سواها !»

قلت له في حيرة:

«لكن من المستحيل أن نثبت هل هو كذاب أم محظوظ .. »

قال باسمًا:

«لو وضعتم الأمر في أنهانكم لوجدتم الدليل .. هناك شهود قد يكونوا راوا مصطفى

يدخل المخبز في ساعة مبكرة، وهذا يدحض روايته.. شهود على ارتبائه وتوتره بعد

خروج رمزي من الفرن ..

آثار مفاتيح رمزي على باب الفرن من الداخل .. كل هذا يدعم قصة رمزي ..»

كان الظلام قد حل تقريبا وهبت أنسام رحيمة .. فتنفسنا ملء رئائنا ..

قال (عصام) وهو يدفع مقعده المتحرك:

«لو كنت أملك حرية الحركة لقضيت الليلة نائما على بلاط الشرفة، لكن هذا ليس

ممكنا .. والأسوأ هو قصتك تلك عن الناس المحبوسين في أفران .. إنها أحداث

ملتبهة أكثر مما يجب بالنسبة لي!»

رجل بارع

لا أشعر بأية راحة عندما تمضي زوجتي بضع ساعات مع مدام (نازك) تلك ..

ثم تعال هنا .. من هي مدام نازك هذه ؟.. امرأة هي الافتعال بعينه . تعتقد أنها محجبة برغم كل الأصباغ التي تضعها على وجهها ، وحجابها نفسه يذكرك بخوذات الجنود في الحروب البيزنطية أو أفلام الخيال العلمي .. ثم إنني أعتقد أن اسمها ليس مدام نازك أصلاً .. فقط هي تفضل هذا الاسم لأنه يبعث خواطر أرستقراطية في الذهن ..

الخنافة المفتعلة خاصة عندما تقول (مارينا) من أعماق أنفها ..

هذه السيدة تقيم في (الدقي) ويبدو أنها مطلقة، ولديها حشد من الصديقات المماثلات لها اللاتي يجتمعن عندها من حين لآخر، فيفرطن في التميمية ويشتمن أزواجهن، ثم تنظر هي إلى زوجتي وتنصحها بأن تطلب من زوجها كذا وكذا .. «كيف لا تمضين الصيف في (مارينا) ؟.. يجب أن يتصرف زوجك .. هذه مشكلته يا حبيبتي ..

نحن نشقى ونتعب وعليهم أن يدفعوا الثمن ...»
أو:

«كيف لم تجدي عفش البيت منذ خمسة أعوام ؟..
هذا خطأ ..»
أو:

«هناك مجوهرات ممتازة وسعرها معقول في محل (أنطوان) بوسط البلد..
يجب أن تأخذي زوجك هناك ..»

هكذا تعود لي زوجتي وقد أدركت أن حقوقها ضائعة وأنتي وغد، وهكذا أصارحها بأننا لسنا أثرياء ..

أنا ضابط لا يرتشي، وراتبي يكفيني بصعوبة كي تخترق سفينتنا هذه المستنقعات الضيقة الوعرة التي تقابلها في الحياة اليومية ..

لسنا من طبقة عاجزة عن التصييف لكننا لسنا كذلك من الطبقات التي تصييف في مارينا .. لا أقدر على شراء مجوهرات ..

فلتفعل ذلك مدام نازك إذا كانت متحمسة ..

الخلاصة أنني لم أعد أطلق هذه المرأة لكنني كنت كذلك عاجزاً عن منع زوجتي من زيارتها فهي تسلية أساسية لها ، وأنا بطبعي لست دكتاتوراً أو ممن يتلذذون بتعذيب الآخرين ..

عندما عادت لي زوجتي في ذلك اليوم كانت متحمسة وأنفاسها تتقطع انفعالاً .. قالت لي:

«أنت تعرف أن مدام نازك تحب أن تفاجئ صديقاتها بشيء جديد في كل مرة .. هذه المرة قدمت لنا ساحراً من غانا يدعى (ماكيبو) ..»

إذن هناك ماكيبو ... ابتسمت وقلت لها:

«هل يحمل رمحاً ويلتف بجلد نمر ؟»

قالت وهي لا تكاد تستجمع أنفاسها:

«لا .. لو رأيته لوجدت رجلاً أفريقياً ضخم الجثة يلبس عوينات سميكة وبذلة كاملة .. هذا كل شيء ..»

«هذا مخيب للآمال ..»

«قالت لنا إنه يمارس ديانة غريبة تعبد الأرواح اسمها (الودونية) ..

وإنه سوف يثير دهشتنا ..

كانت شديدة الاحتفال به وقد أجلسته في مكان مميز على حين أخطأنا به .. طبعاً كان هناك الكثير من البخور ..

إنه غريب الأطوار لكنه ليس مزعجاً .. »

«نعم .. وطبعاً كل النسوة المتمردات إياهن كن معك ..»

تجاهلت ملحوظتي وقالت في حماس:

«طلب بالإنجليزية من واحدة منا أن تعطيه خمسين جنيهًا ..»

«هذا سحر خارق فعلاً .. ومن الحمقاء التي فعلت ذلك ؟»

«أنا تطوعت بذلك ..»

هنا جن جنوني .. لماذا أنت بالذات ؟..

لماذا ليس مدام نازك أو أية واحدة من تلك المدعيات ؟..

«في البداية طوح الورقة في الهواء فاختفت ..

ثم طلب مني أن أجري بعض الحسابات ولا أخبره بالنتيجة، سألتني عما إذا كنت

أعرف الشارع جيداً .. قال لي إنني سأجد المبلغ مضاعفاً في مدخل بناية معينة ..

هكذا نزلت مع صديقاتي وهرعنا إلى البناية التي ذكرها، وعندما وقفت في المدخل نظر لي اليواب في شك، ثم سألتني إن كنت ابحت عن شيء ما .. أعطاني مظلوفًا فتحتة فوجدت به مائة جنيهه !»

ثم لوحت بالورقة ذات المائة جنيهه في الهواء في حماس ..

وراحت ترقص عبر الغرفة ..

أروع شيء في العالم هو المال الذي لم تتعب في الحصول عليه كما يقول (مارك توين) ..

قلت لها في شك:

«الأمر واضح .. لقد رتب الأمر مسبقًا مع يواب البناية ..»

«مستحيل يا حبيبي ..»

هو لم يعرف النتيجة قط !...»

هذه الورقة وجدت في اللحظة التي أنهيت فيها الحسابات في سري ...!»
«وعدت له ؟»

«نعم .. عدنا له فقال إنه لا شيء غريب في هذا ..»

السحر أقوى مما نظن ...

هو مستعد لأن يكرر التجربة مع أي مبلغ وفي أي وقت .. لكن ليس اليوم لأنه مرهق»
«وطبعًا أنت تفكرين في التجربة من جديد ؟»

«لقد ضاعفت الخمسين، فماذا عن مضاعفة خمسة آلاف ونكون قد جمعنا المال اللازم لتجديد الشقة ؟»

«بصراحة لا أفهم ..»

هل الأرواح تطيع مالا ؟ ..

وما الذي يستفيد هو ؟ ..

حسب فهمي للأمور هو لم يستفيد سوى أن خسر خمسين جنيهًا ..»

«طلب أجرًا رمزيًا .. دفعته مدام نازك ..»

إنها تحب أن ترانا منبهرات ..

كانت بثياب الخروج كما هي، لذا طلبت منها أن تستعد لأننا سنذهب إلى صديقي

(عصام) .. سوف يسمع القصة ويفسرنا لنا ..

رحب بنا (عصام) ثم خرج بالمقعد المتحرك إلى الشرفة كعادته في الصيف، وطلب من (عفاف) أن تجلب لنا مقعدين ..

طلبهما بتلك الطريقة المهدبة التي تطلب بها الشيء من زميلة عمل لا خادمة ..

لا بأس ببعض المياه الغازية كذلك على سبيل المرح.

قال لزوجتي ضاحكًا:

«القصة التي تحكيها ركن ثابت في صفحات الحوادث هذه الأيام ..»

يخيل لي أن القاهرة تم استبدال ملايين السحرة الأفارقة بسكانها ..

فيما بعد لن يجدوا عملاً سوى أن يخدعوا بعضهم

قالت له في تحفز:

«أفهم أنه يخدعني ..»

لكن كيف ؟ ..

أنا لم أفتح فمي قط ..

كيف خمن رقم البناية ؟»

قال لها (عصام) وهو ينظر إلى الشارع :

«هلا حكيت لي ببساطة ؟»

قالت زوجتي وهي تنظر لي نظرة نارية:

«أولاً قال لي أن أحسب في سري آخر أربعة أرقام من رقم هاتفي ..»

لا تقل لي إنه يعرفه من فضلك لأن هذا الرقم جديد كما تعلم»

قال (عصام):

«لم أقل أي شيء .. أرجو أن تواصلني»

«طلب مني أن أعكس الرقم ..»

يعني بدلاً من 4356 أجعله 6534 ..

اطرح الرقمين من بعض ولا أخبره بالنتائج ..»

«هذا سهل وإن كان بحاجة لألة حاسبة ...»

«طلب أن اجمع الأرقام في العدد الناتج معاً ..»

وأكرر الجمع حتى لا يبقى سوى رقم واحد ..»

لا أصرح به ..

مثلاً لو صار الناتج 19 جمعت الرقمين 1 + 9 لأحصل على 10 ..

هذه تجمع لتصير (واحد) .. »

هنا اتسعت ابتسامة (عصام) أكثر ..

قالت زوجتي:

«هذا الرقم الأخير الذي لم أخبره به هو رقم البناية التي يوجد المال فيها ...»

قال (عصام) وهو يوشك على الانفجار ضحكًا:

«تعالى نجرب في رقم هاتفي أنا ..

الأرقام الأربعة الأولى هي 2367 ..

نقلب الرقم ليصير 7632 ..

حاصل طرح هذا من ذاك هو 5265 ..

سوف نجمع $5 + 6 + 2 + 5$. الناتج هو 18 ..

لكن لابد من تحويله إلى رقم واحد لذا نجمع $8 + 1$ الناتج هو 9»

قالت زوجتي في دهشة:

«تسعة !»

نفس الرقم الذي نتج معي !»

يا له من حظ !»

قال (عصام):

«ألم تفهمي بعد ؟ ... مهما فعلت سيكون ناتج هذه العملية هو تسعة !» هذه من

الألعاب الرياضية الشهيرة جدًا .. تُستخدم بكثرة في الحفلات .. كل ما كان على

هذا الساحر هو أن يترك مظهرًا به مائة جنيه مع حارس البناية رقم تسعة مع

تعليمات بأن يعطي المظروف للمرأة التي تبحث عن شيء في المدخل ! .. طبعًا دفع

للحارس مالاً أو هما شريكاً»

«وماذا يستفيد من هذا ؟»

«يبدد القليل ليحظى الكثير .. سوف تجدين كل واحدة من تلك النسوة الجشعات

تأتيه في المرة القادمة ومعها مائة ألف أو عشرة آلاف جنيه وهي تطالبه بأن

يضاعفها لها .. طبعًا سوف يحدد لها عنوانًا لا وجود له، وموعداً يكون بعد رحيل

طائرته إلى غانا !»

قلت أنا في غيظ:

«أنت نفسك كنت ستعطينه خمسة آلاف وأنت تعرفين كيف استطعنا أن ندخرها !»

قالت زوجتي في حرج :

«هل تعني أنه يخدع مدام نازك ؟»

«يخدع الجميع .. ما لم يكن متفقًا مع هذه المرأة على قسمة دخل النصب .. الحق

إنني لا استريح لها البتة»

نهضت زوجتي في عصبية وصاحت:

«هكذا الرجال .. كلما قابلوا امرأة قوية الشخصية تعرف كيف تستغني عنهم !»

وغادرت الشرفة حائقة .. هنا نظر لي (عصام) في فهم وايتسم ..

النساء ! .. هكذا قالت نظرتة .. لكنني في الحقيقة كنت أفكر: كم سيكون جميلًا لو

كان هذا الأفريقي صادقًا .. كنت سأستبدل معاشي وأبيع سيارتي وشقتي من أجل

مضاعفة المبلغ ..

يبدو أن (عصام) رجل الأرقام سمع ما أقول في ذهني لأنه قال على الفور:

«واضح أن الأرواح لا تجيد صنع المال ، لكنها بالتأكيد تعرف الكثير عن الرياضيات

...»

عبّاد الشمس

كان ذكياً.. وكنا جميعاً نعرف هذا ..

برغم كل محاولاتنا للإيقاع به، فقد فشلنا تماماً .. كان حذراً كالتعالب ويفترض طيلة الوقت أن هناك من يراقبه ..

الإخبارية التي وصلتنا هي أنه يبيع نوعاً جديداً من المخدرات باهظة الثمن في واحدة من تلك الجامعات الخاصة. مشكلة هذه الجامعات الخاصة هي أنها تقتصر على الأثرياء المترفين، والذين لم يحقق أبناؤهم درجات كافية في الثانوية العامة .. هكذا يدخل الفتى الجامعة شاعراً أن المال هو كل شيء، وأنه استطاع أن يقهر المتفوقين بمال أبيه . في وسط كهذا تنتشر عادات سيئة لا أول لها ولا آخر ومن بينها المخدرات. يقول الممثل الأمريكي (روبن ويليامز) ساخراً: «المخدرات هي الطريقة التي تخبرك بها الحياة أنك تكسب أكثر من اللازم!»

وهي مقولة صحيحة فعلاً، والسبب هو أن (ويليامز) نفسه تعاملت المخدرات لفترة ثم أفلح عنها بعد ما رآها تطيح بحياة كثيرين من نجوم هوليوود.

لقد انتهى عصر عقار الهلوسة (ال اس دي) كما يبدو، وصار (الاكستازي) موضوعة قديمة ..

الآن يظهر هذا العقار الجديد الذي يشتريه الطلبة الأثرياء ببساطة برغم غلاء ثمنه. قال لي ابن خالتي الشاب إن أغلب الطلبة يعرفون أن (رامي) هو الذي يبيع هذا العقار. (رامي) طالب هندسة يحضر للكلية في سيارة رياضية باهظة الثمن .. ثيابه كلها غريبة كأنه يمثل في فيلم أمريكي. فقط هو يصر على وضع ملصق زهرة (عباد الشمس) على زجاج سيارته وعلى دفاتره وعلى صدر سترته. حذر وصمت ، فلا تجد من حوله إلا صديقه التي تشبهه في كل شيء ..

«وما دخل عباد الشمس في الموضوع ؟»

«ارتباط الأزهار بالهيبيز والمخدرات قوي ..

تذكر أن الهيبيز كانوا يطلقون على أنفسهم اسم (أبناء الأزهار)»

اتصلت ببعض الزملاء في إدارة مكافحة المخدرات، فقالوا لي إنهم يشكون في أمر الفتى، لكنه حذر جداً ولم يضبط متلبساً قط ..

«نحن نلاقي الأمرين في إدانة من تضبط معهم مخدرات» - يقولها لي النقيب (مصطفى) من مكافحة المخدرات -

«لأن محاميهم يكونون بارعين يجيدون هدم القضية وإظهار خلل في الإجراءات ..

فما بالك بالفتى الذي لم نجد معه مخدرات قط ؟»

هكذا قمت بالعمل الوحيد الممكن ..

أعطيت ابن خالتي بعض المال وطلبت منه أن يحاول شراء بعض المخدرات من (رامي) هذا. لو نجح فسوف أجعله يعاود الكرة طبعاً في وجود كاميرا تسجل كل شيء بإذن من النيابة ..

لكن ابن خالتي عاد لي وقال :

«لم تنطل عليه اللعبة ..»

ثم حكى لي إنه ظل يحوم حول (رامي) قبل أن يتجه له، ويتكلم عن إيمانه السابق لعقار الهلوسة وكيف إنه في أمس الحاجة إلى مخدر جديد ..

ظل (رامي) يصغي إليه صامتاً وهو ينظر له من خلف زجاج نظارته الوردية، ثم سألته في تهذيب:

«وما شأنني أنا ؟»

قال ابن خالتي:

«هل تعرف من يبيع هذه الأشياء في كليتنا ؟»

قال (رامي) وهو يتعبد:

«ومن قال لك إنني أفهم هذه الأشياء ؟»

أنا لا أطيق مجرد رائحة السجائر .. ونصيحتي لك هي: العب غيرها !»

حكى لي ابن خالتي هذه القصة فتهتفت في حماس:

«لاحظ آخر ما قاله ..

إنه يعرف أننا نعرف أنه يبيع المخدرات ..

اللعب على المكشوف وهو فقط يتحدثنا أن تثبت عليه شيئاً ..»

وهكذا اتخذت قراري ..

يمكنني متى أردت أن أبدو شاباً، وهكذا غيرت تسريحة شعري، وارتديت بعض الثياب (الكاجوال) وحذاء رياضياً ونظارة سوداء، واتجهت بسيارتي إلى تلك الكلية الخاصة .. طبعاً حسبتني زوجتي جنت ولحسن الحظ أن الأولاد لم يروني ..

كان ابن خالتي ينتظرني هناك، وإن اتفقنا على ألا نمشي معاً لأن الفتى يعرفه الآن ..

أشار بطرف إلى (رامي) هذا ..

رأيت أول مرة وهو يجلس على سيارة في تحد وشيء من الوقاحة جوار فتاته، كان

بالفعل غريباً في كل شيء حتى بمقاييس جامعة عجيبة مثل هذه ..

كان يحمل في يده ثلاثاً من أزهار عباد الشمس، يتأملها في اهتمام هو يكلم فتاته.. من الغريب أن يكون هذا الفتى رومانسياً لهذا الحد .. على كل حال هناك حوض أزهار كامل خلفه ومن السهل أن يقطف منه ما يريد.

هنا رأيت فتاة تحمل بعض أزهار عباد الشمس بطريقة عارضة كأنها اقتطفتها من الحديقة ..

نحو خمس منها ..

رأيتها تتجه نحو (رامي) هذا، فتتبادل معه حديثاً ضاحكاً ثم تدس في يده شيئاً .. هذه نقود !..

لكن ماذا سيحدث بعد هذا ؟

لا شيء ..

وقفت تتكلم معه قليلاً ولم يعطها أي شيء .. ثم انصرفت ..

مشيت وراءها فوجدتها تركب سيارتها وتغادر الكلية ..

لو كانت ابتاعت منه مخدرات فمتى تحصل عليها ؟

هل سيقابلها خارج الكلية إذن ؟ هناك نقطة مهمة في هذه الحوادث هي أن عملية التسليم والتسلم تتم داخل الكلية لأنها مكان أبعد عن الشبهات ..

سلطة الشرطة محدودة نوعاً هنا بينما يمكن لأي مخبر أن يستوقعه في الخارج ويفتشه .. معنى هذا أنه يجب أن يسلمها (البضاعة) هنا، لكن كيف ؟

لقد رحلت فعلاً ..

هل في يوم آخر ؟

متى وكيف ؟

هذا الفتى بحاجة إلى فريق كامل من المخبرين يراقبون سكناته ..

لن أقدر على هذا وحدي ..

دعك من أن رجال مكافحة المخدرات جربوا كل شيء فعلاً...

على كل حال أنا أعرف يقيناً أن أزهار عباد الشمس هي علامة التعارف ..

هو يحمل الأزهار وزبائنه يحملونها .. لن يثق في شخص يأتيه خالي الوفاض.

طبعاً لم أجرب أنا هذه العملية وإنما كلقت بها واحدة من معارفي.

لقد كان الفتى يقف جوار السيارة في كسل كعادته وهو يحمل زهرتين من عباد

الشمس. اتجهت الفتاة نحوه وهي تحمل خمساً من تلك الأزهار وبدأت معه تلك

المحادثة السخيفة عن دماغها الموشك على الانفجار وعن حاجتها لمخدر جيد. لكنه

نظر لها في برود ولم يقل شيئاً .. في النهاية قال لها:

«يجب أن تبعني عن طبيب يعالجك من الإدمان ..

أنا طالب هندسة ولا أفهم في هذه الأمور»

كدت أجن غيظاً وأنا أراقب المشهد من بعيد وقد فهمت من إيماءاته أنه يرفض ..

لا بد من طريقة سحرية تجعله يبيع. ربما كان لا يبيع إلا لزيائن معروفين، لكن لا بد

من مرة أولى دائماً يقابل فيها زبوناً جديداً ..

هل يعتمد على أسلوب (فلان يعرف فلاناً) ؟

بعد ما انصرف الفتاة بقليل اتجه نحوه فتى يحمل ثلاث زهرات. سرعان ما كان

يأخذ المال والفتى ينصرف كالعادة من دون أن يأخذ شيئاً. ما معنى هذا ؟

حكيت لصديقي العبقري (عصام فتحي) الذي لا يفارق كرسيه المتحرك هذه القصة، وكان هذا في الكلية التي يدرس الرياضيات فيها.

هذه المرة ظل يتابع قصتي في اهتمام وهو مقطب الوجه. ثم سألتني:

«قلت إنه كان يحمل ثلاث زهرات في أول مرة والفتاة تحمل خمساً ؟ وفي المرة

الثانية كان يحمل زهرتين والفتى ثلاثاً ؟

«ربما كانت صدفة .. »

فكر حيناً ثم قال:

«ممكن أن تكون كذلك ... لكن رمز عباد الشمس يثير فضولي .. »

ثم تحرك بمقعده إلى مكتبته وأخرج كتاباً على غلافه صورة ملونة واضحة لزهرة

عباد الشمس وقال لي:

«زهرة عباد الشمس هي المثال الأشهر لتوالي (فيبوناتشي) ..

السبب هو أن بتلاتها مرتبة بهذا الشكل المعجز وقد قام علماء كثيرون بكتابة

معادلات قائمة على ترتيب بتلات هذه الزهرة .. »

«معذرة .. ما هي متوالية (فوياتشي) هذه ؟

«فيبوناتشي .. اسم العالم الإيطالي الذي وصف هذه المتوالية، لكنها تعود بالأصل إلى الطقوس الهندية القديمة وفي الأدب السفسكريتي كانت تدعى (جبل الإيقاع) .. هي موضوع مهم جداً في الرياضيات ويبلغ التعقيد بحيث لا أقدر على تبسيطه لك من دون معادلات، لكنه يرتبط كذلك بالنسبة (تاو) والنسبة الذهبية .. أي النقطة التي تقسم الخط بحيث تكون نسبة القسم الأكبر إلى الخط نفسه كنسبة القسم الأصغر إلى القسم الأكبر ..

«بالنسبة لرجل الشارع يكفي أن يعرف أن متوالية (فيبوناتشي) هي المتوالية التي يكون فيها الرقم مساوياً لمجموع العددين السابقين له ..

لو بدأنا من صفر ثم واحد يكون الرقم الثالث هو واحد (صفر + 1) ..

الرقم الرابع هو (1 + 1 = 2) ..

الرقم الخامس هو (2 + 1 = 3) ..

الرقم السادس هو (3 + 2 = 5) ..

وهكذا

قلت من جديد:

«لا أفهم علاقة هذا

قال باسمًا:

«هي طريقة شفرية لمعرفة زبائنه الذين يعرفون متوالية فيبوناتشي هذه : من يعرفها يمكنه الثقة به ..

عندما يحمل زهرتين فعلى الزبون أن يحمل في يده ثلاثاً ..

عندما يحمل ثلاثاً على الزبون أن يحمل خمساً ..

لو حمل ثماني زهرات فعلى الزبون أن يحمل ثلاث عشرة زهرة

لو افترضنا جدلاً أنه يحمل 89 زهرة فعلى الزبون أن يحمل 144 »

«ما فعلته قريبتك الحمقاء هو أنها حملت له خمس زهرات وهو يحمل اثنتين ..

هكذا فضحت نفسها ..

«وكيف يتم التسليم ؟

«بعد ما يأخذ المال، يأتي العدد التالي من المتوالية ..

هو حمل زهرتين والزبون حمل ثلاثاً .. إذن المخدرات في رقم خمسة ..

الشجرة الخامسة .. أو تحت المقعد الخامس ..

أو في خزانة الثياب الخامسة .. هذا شيء يهمس به للزبون لحظة التسليم. طبعاً ليس هو من يضع المخدرات في ذلك المكان .. هو لا يحمل إلا المال وهذه ليست جريمة .. وعلى الأرجح ليس الزبون هو من يحصل على المخدرات بنفسه بل يكلف صديقاً له بذلك لأنه يفترض أنه مراقب»

قلت في حيرة وأنا أمسك برأسي:

«والحل ؟ كيف توقع بهذا الشيطان خبير المتواليات ؟

«سوف ترسلون مخيراً شيئاً من رجالكم يحمل أزهار عباد شمس بقي عددها

بقوانين المتوالية كما يحددها رامي من يوم لآخر .. عندما يأخذ رامي المال سوف

يقول له كلمة واحدة عن مكان المخدرات .. ولكن ..

اسمع !.. هذا عملكم لا عملي .. أنا خللت لك الجزء الرياضي من القصة، وعليك أن

تتولى الجزء البوليسي منها ..

ثم قال ضاحكاً:

«تذكر أن تلبس ثيابك الأصلية وتستعيد تسريحة شعرك وإلا قبضوا عليك بتهمة

التشرد ..

لكني لم أعلق لأنني كنت أرسم في ذهني تفاصيل الخطة .. الخطة التي لم تعد

تحتاج إلا إلى بعض العمل البوليسي المثابر كما قال هو بالضبط.

حَمَلٌ أُمٌّ خُرُوفٌ؟

كان (مصطفى داود) من هؤلاء القوم المضطربين في التفاؤل والتشاؤم. وكان يصدق كل حرف يرد في المجلات، ويقرأ الأبراج بعناية ويمكن أن يخنقك لو قلت له إن مؤلف هذه الأبراج هو سكرتيرة تحرير المجلة غالباً .. عندما يرف جفنه الأيسر يتوقع كارثة، وعندما يشعر بتميل في ساقه اليمنى يتوقع مصيبة.

عندما زرته في داره كان أهم ما استرعى انتباهي هو أن هناك ميزاناً في كل شيء في حياته. يوجد ميزان عملاق في الصلاة. هناك ميزان جوار مقعد الصالون. هناك صور لموازين على الجدران، وسورة الرحمن مكتوبة بلون الذهب في لوحة كبيرة. فيما عدا هذا لا يوجد سوى تمثال صغير لنمر هندي يتلوى ويزار ..

هناك بعض التماثيل والصور لحمل صغير يرعى العشب .. لكنها صور قليلة .. عامة كان كل شيء أخضر .. لون المقاعد ولون الجدران ولون الستائر .. درجات مختلفة من الأخضر تبعث راحة حقيقة في النفس.

كان (مصطفى) قريبي وقد كان أول ما سألته عنه بالطبع هو هذا التواجد غير الطبيعي للميزان في حياته، فقال باسمًا:

«لا تنس أنني مولود في الأول من أكتوبر عام 1974 .. ما معنى هذا؟» فكرت قليلاً وقلت في ذكاء:

«معناه أنك كالخريف .. تتساقط أوراقك ويذبل قلبك في بطناء»

قال وقد اغتاض من حماقتي:

«بل معناه أنني من مواليد برج الميزان يا فالح .. هذا البرج يسيطر على كل شيء في حياتي ومنه أستمد حظي وشخصيتي ..»

أبدت رأيي في أنني لم أحب كثيراً أن يستخدم آية قرآنية لارتباطها بالميزان. هذا لا يليق بالقرآن الكريم ويذكرني بطريقة محلات العصير في اختيار آيات بعينها من القرآن لتعلقها في المحل. بدا مهتماً ووعد بأن يرفع هذه الآية.

نظرت إلى زوجته (مها) وسألتها عن عيد ميلادها فقالت:

«الخامس من إبريل .. عام 1979 .. برج الحمل لو كنت مهتماً بهذه الأمور»

لو كان ما تقوله الأبراج صحيحاً فإن آخر برج يصلح لبرج الميزان هو برج الحمل هذا. لقد كانت (مها) زوجة قاسية متعالية باردة كالثلج وقد جعلت حياة (مصطفى) جحيماً ..

لا بد أن الأبراج خذلت في اليوم الذي طلب يدها فيه. بالنسبة للناس هما زوجان

شابان سعيدان وإن لم ينجبا بعد، لكنك لا تعرف كل ما يدور خلف الأبواب المغلقة، وقد صارحتني مصطفى بأنه من انعس الناس، لكنه من أسرة لا تجسر على الطلاق ولم تعتد ..

الأسر التي لا تجسر على الطلاق لا تميل كذلك إلى تهشيم رأس الزوجة كما تعرف.. قصة مصطفى مؤسفة على كل حال، لأنه أصيب بنوع قاتل من سرطان الدم وتوفي بسرعة في سن صغيرة نسبياً. زوجته لم تكن مبالية جداً بالأمر، ولولا أنني أعرف جيداً أنه سرطان الدم لاتهمتها بقتله، لأنه كان ثرياً..

أذكر أنني زرته في المستشفى وبدأ لي مسروراً إلى حد ما ..

برغم شحوبه الشديد قال لي:

«على كل حال سوف أترك ثروة لا بأس بها بالنسبة لـ (مها)، وسوف تبدأ حياة

سعيدة من دوني ..

لكني سوف أتعابها قليلاً إلى أن تجد بيانات ممتلكاتي وعقاراتي ..

أنت تعرف مدى إيماني بالأبراج ..

وسوف يكون عليها أن تحل لغزاً صغيراً يتعلق بها. أعرف أنها ستجد الإجابة سريعاً

لأنها تملك غريزة الثعالب ..»

توفي مصطفى وكففت عن التردد المنتظم على بيته ..

لكني عرفت على الفور ما سيحدث.

زوجته سوف تبدأ بالتفتيش خلف كل لوحة ميزان وكل تمثال ميزان في شقته.

وعندما زرته بعد أيام لم أجد بالفعل في البيت أي تمثال من تماثيل الموازين التي

كانت تملأ كل مكان ..

سألتها:

«ألم تجدي شيئاً بعد؟»

قالت في عصبية:

«فليرحمه الله .. هي هوايته أن يعذبني ..

أنا أعرف ولعه بهذا الهراء والكلام الفارغ عن الأبراج والحظ .. هو من برج الميزان،

وقد لعب هذا البرج دوراً مهماً في كل اختياراته في حياته، لذا أتوقع أن الأوراق

متعلقة بهذا البرج بشكل ما ..

لقد قمت بتحطيم كل تمثال ميزان وجدته، فككت كل ميزان لعبة ..

انتزعت ظهر كل لوحة .. لا شيء ..

نظرت إلى تماثيل الحملان المتناثرة هنا وهناك وسألتها:

«أنت من برج الحمل .. ألم تفكري في تحطيم هذه التماثيل؟»

قالت وهي تفكر:

«لا أعتقد ... أجد في هذا نوعاً من الفأل السيئ .. لا تنس أنني اعتدت أن أعتبر

هذه التماثيل معادلاً موضوعياً لي ..»

«ربما كان الحل فيها ..»

هزت رأسها ثم اتجهت إلى غرفة داخلية وعادت حاملة مطرقة كبيرة، وقبل أن أفهم

ما يحدث كانت قد انهالت على تماثيل الحمل الموجود في الصالون فهشمته .. رقيقة

جداً هذه السيدة وتتصرف بأنوثة طاغية فعلاً..

ثم نهضت واتجهت إلى تماثيل صغير آخر وهشمته ..

لا شيء سوى كومة من الفتات والغبار تناثر في كل مكان، لكنها كانت قد نزعت

حذاءها ووقفت فوق الأريكة وانتزعت لوحة تمثل حملاً في مرج ومدت مخالبا تنزع

ظهرها ..

لا شيء ..

كانت تزداد عصبية وجنوناً .. هكذا قررت أن أتركها. وخطر لي أن صور الحملان

هذه غبية فعلاً.. هي أقرب إلى صور الخراف منها إلى الحملان ..

عندما جلست مع صديق عمري عصام فتحي في مكتبه، كان عاكفاً على تصميم

برنامج يرسم بعض الأشكال الهندسية شديدة التعقيد وإن كان لها تأثير زخرفي

جميل. قال لي إن اسمها fractal وهي نوع من الأنماط الهندسية غير التقليدية

التي تحدث أشكالاً لا تقدر الهندسة التقليدية على رسمها .

لم أفهم. فقط جلست أراقبه في إعجاب بعض الوقت، ثم رحت أحكي له تلك القصة

الغريبة.

راح يصغي كعادته دون أن ينظر لي. ثم راحت أنامله تدق شيئاً على مفاتيح

الكمبيوتر .. سألتني:

«قلت لي .. متى ولد قريبك هذا؟»

«الأول من أكتوبر عام 1974»

عاد يسألني:

«قلت إن كل شيء أخضر في داره؟»

«تقريباً ..»

«كان يحب الياقوت من بين الأحجار الكريمة؟»

«نعم .. قال هذا مراراً ..»

قال وهو يضحك بطريقته الخبيثة التي أعرف بها أن اللغز قد حل:

«هناك تماثيل أو لوحة نمر في داره طبعاً ..»

«تماثيل .. لكن كيف عرفت؟»

«لأنني عبقرى .. كل الأوراق التي تريدها موجودة في هذا التمثال ..»

كنت أضرب كفاً على كف.. وصححت فيه كما في كل مرة:

«هل أنت ساحر؟ .. هل تتصل بالشياطين؟»

«لا هذا ولا ذاك .. فقط أنا أستعمل هذا العضو جيداً»

وأشار إلى رأسه ثم أردف:

«صاحبك كان يؤمن بالأبراج .. لكنها الأبراج الصينية لا الغربية. حسب هذا البرنامج

الذي استعملته هو من برج النمر . هذا البرج يحب اللون الأخضر والياقوت ..»

قلت في عصبية:

«الأبراج هراء .. كلنا يعرف هذا ..»

«نعم هي هراء، لكننا قد نتصرف على أساسها في حياتنا اليومية .. نحب اللون

الأخضر لأننا من برج النمر وليس العكس ..»

«وما هذه الأبراج الصينية التي تتكلم عنها؟»

استرخى في جلسته وقال:

«هذا يرجع إلى التقويم القمري الصيني .. إنه يتكون من دورات كل دورة 60 عاماً

«تنقسم الدورة إلى خمس دورات صغيرة كل منها 12 عاماً .. نحن الآن في الدورة

رقم 78 التي تنتهي عام 2044 .. تقول الأسطورة إن بودا استدعى الحيوانات كلها

فلم يلب النداء إلا 12 حيواناً هي بترتيب الوصول الفأر .. ثم الثور .. ثم النمر .. ثم

الأرنب .. ثم القنبر .. ثم الثعالب .. ثم الحصان .. ثم الخروف .. ثم القرد .. ثم الديك

.. ثم الكلب .. ثم الخنزير البري..

كل حيوان منها يحكم عاماً من الاثني عشر عاماً ..

وهذا هو الحيوان الذي يسيطر عليك ويتحكم في أفعالك .

قريبك هذا ولد في الأول من أكتوبر عام 1974 ..

أي إنه نمر ..

يؤمن الصينيون أن النمر قادر على طرد اللصوص والأشباح. مولود ليأمر وليس ليؤمر.

إنه قيادي و شجاع و يدافع عن المبادئ التي يؤمن بها. باختصار هو شخصية جذابة لكنه متسلط وعدواني.

طبعاً أنا لا أؤمن بكون الأبراج تحدد شخصية الإنسان..

لكن هذا لا يغير حقيقة أن قريبك كان يؤمن بها»

ثم أضاف:

«يعتقد الكثيرون أن هذه الأبراج أكثر دقة من الأبراج الغربية المعروفة (الجوزاء

- العذراء - السرطان) .. الخ ..

ولقد حرص قريبك على أن يوحي لزوجته بأنه ميزان بينما هو في الحقيقة كان نمرًا

.. سوف تجد الأوراق التي تريدها في تمثال النمر.. أنا أراهن بسمعتي على ذلك ..»

قلت له:

«لكن زوجته حمل .. هذا مؤكد .. الخامس من إبريل .. عام 1979 ..

هذا يعتمد على الأبراج الغربية»

ضغط على المفاتيح وقال ضاحكًا:

«بل هي خروف .. من المضحك أنك لم تلاحظ الفارق في الرسم بين الخروف والحمل

.. الخروف في الأبراج الصينية شخصية متقلبة مرهفة موهوبة لكنها غير واقعية

تفضل الحلم على الواقع، ومتقلبة المزاج بشدة .. لا يمكن لأي شخص أن يخبرها

بما يجب عمله.. من الحقائق الغربية كذلك أن المرأة الخروف هي أسوأ شريك حياة

ممكن للرجل النمر .. ١ ..

لا يمكن تخيل تعايش مشترك بين الاثنين إلا لو استطاع النمر أن يعيش مع الخروف

.. من حسن حظها أن قريبك لم يلتهمها ١»

ثم سألتني:

«هل ستخبرها الآن؟»

قلت في خبيث:

«لا أدري إن كان هذا يخرق وصية الفقيد أم لا .. لقد قال إنها ستجد الأوراق .. دعها

تتعب قليلاً وتجرب قليلاً.. هي لم تكن زوجة فاضلة على الإطلاق وقد عذبتة بما

يكفي. فلتتعذب قليلاً بدورها. قال لي قبل أن يموت إنها تملك ذكاء الثعالب..

أعتقد أنها ستحتاج إلى وقت أطول من اللازم في البحث بعد ما اتضح أنها أقرب

إلى ذكاء الخراف ١»

1 - على حافة العلم
كتاب يبحث في ظواهر لم تذكر في أي كتاب عربي

2 - خلف أسوار العلم
أول موسوعة عربية متخصصة في ظواهر ماوراء الطبيعة

3 - خطوة الزمن
رواية من أدب الخيال العلمي

4 - وحدث العلم !
كتاب يكشف بالأدلة أكاذيب أعتقد البشر أنها حقائق

5 - موسوعة الظلام
أول موسوعة عربية متخصصة في عالم الرعب

6 - هادم الأساطير
نحو موسوعة تكشف الحقائق

7 - الآن نفتح الصندوق
مجموعة من قصص أدب الرعب

8 - حدث في الكويت
أول كتاب يبحث في ظواهر غامضة و غريبة حدثت في الكويت

9 - ويأتي الغد
كتاب يبحث في أحداث مستقبلية

10 - قصتي مع اللوفر
دليل ساخر يشرح لك كيف تقضي 4 أيام في باريس

11 - الخافة
كتاب يبحث في حقائق علمية تقترب من الخيال

121	خدمة لمدام إيفون
129	شفرة أخرى
137	كتاب ثمين
145	اختبار نفسي
153	مشاعر حارة
161	رجل بارع
169	عباد الشمس
177	حَقْل أم خروفا

6	المقدمة
9	لفز أخير
17	رجل لا يستحق شيرين
27	الرعب يجتاح المدينة
33	رحلة منحوسة
41	سميرة والأقزام السبعة
49	هرقل يعود
57	ألعاب صوتية
65	الشفرة
73	الرقم الغامض
81	يوم الوحش
89	ذكريات رقمية
97	رجل دقيق
105	الشهر العاشر
113	ضيف غير مرغوب فيه